الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المقياس: **تاريخ المعتقدات والأديان القديمة** المستوى: **الثانية ليسانس، تاريخ عام**

السداسي: **الثالث**

مطبوعة دروس مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس عن بعد، عبر الرابط التالي

http://elearning.univ-biskra.dz/moodle/course/view.php?id=11469

من إعداد الأستاذ: **توريرت مصطفى**

السنة الجامعية: **2021–20**

وحدة التعليم	الحجم الساعي للسداسي (15 أسبوعا)	الحجم الساعي الأسبوعي				المعامل	الأرصدة	التقييم المستمر	
		محاضرة	أعمال موجهة	أعمال تطبيقية	أعمال أخرى			مراقبة مستمرة	امتحان
وحدات التعليم الأساسية									
و ت أ (إج)									
المادة 1:تاريخ وحضارة المغرب القديم1	**45سا00**	**1سا30**	**1سا30**		**45سا00**	**2**	**5**	x	x
المادة 2:صدر الإسلام والدولة الأموية	**45سا00**	**1سا30**	**1سا30**		**45سا00**	**2**	**5**	x	x
المادة 3:المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)	**45سا00**	**1سا30**	**1سا30**		**45سا00**	**2**	**5**	x	X
المادة 4: تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر 1	**45سا00**	**1سا30**	**1سا30**		**45سا00**	**2**	**5**	x	x
وحدات التعليم المنهجية									
و ت م (إج)									
المادة 1:منهجية وتقنية البحث التاريخي 1	**45سا00**	**1سا30**	**1سا30**		**45سا00**	**2**	3	x	x
المادة 2: فلسفة التاريخ	**22سا30**	**1سا30**			**45سا00**	**2**	3		x
وحدات التعليم الاستكشافية									
المادة الاختيارية: (اختيار مادتين) **المادة 1:تاريخ العلوم**	**22سا30**	**1سا30**			**45سا00**	**1**	**1**		x
المادة 2: أوربا في العصور الوسطى **المادة 3: تاريخ المعتقدات والأديان** **المادة 4: العالم المعاصر**	**22سا30**	**1سا30**			**45سا00**	**1**	**1**		x

وحدة التعليم الأفقية									
و ت أ ف (إج)							1		
المادة 1:جغرافيا طبيعية	22سا30	1سا30		45سا00		1	1		X
المادة 2:لغة أجنبية 1	22سا30		1سا30	45سا00		1		x	
مجموع السداسي 3	337 سا 30	13 سا 30	09 سا 00	450 سا 00		16	30		

محاور مقياس "تاريخ المعتقدات والأديان

1/ مدخل لتاريخ الديانات (النظريات الفلسفية)

2/ ظهور الدين في الحضارات البدائية الأولى

3/ الأساطير الدينية وظهور المعتقدات

4/ الديانات الوثنية في الشرق الأدنى

- **ديانة بلاد ما بين النهرين**
- **الديانة الفرعونية**
- **الديانة الفينيقية**

5/نماذج من ديانات الشرق الأقصى البوذية والهندوسية

6/ الديانة الإغريقية

7/ الديانة الرومانية

8/ ديانة بلاد المغرب القديم

9/ الديانات السماوية

- **اليهودية**
- **المسيحية**
- **الإسلام**

جامعة محمد خيضر –بسكرة-

كلية العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

محاضرات مقياس الإغريق والرومان **المستوى: سنة ثانية ليسانس**

الأستاذ : توريرت مصطفى.

المحاضرة الأولى: مدخل لتاريخ الديانات (النظريات الفلسفية)

الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية يقتضيها حين نطلب تفسير حقيقة معينة أن نبدأ بمعرفة عناصرها العامة، ومقوماتها الكلية، قبل أن نأخذ في البحث عن مميزاتها ومشخصاتها، فمن أراد أن يتعرف على دين الإسلام، المسيحية، اليهودية، المجوسية ...الخ يجب عليه أن يتعرف على المعنى الكلي الذي يجمعها، والقدر المشترك الذي تنطوي عليه في جملتها، هذا وإن اختلفت وتفاوتت في مصادرها، في أهدافها، قيمتها، فإنها كلها تجتمع في اسم "الدين"، فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنظمها ويعبر عنها بهذا الاسم المشترك .

أولا/ **مفهوم الدين**

1/ المفهوم اللغوي:

- إن الدّين كما عرّفه «**المعجم الوجيز**» هو «**اسمٌ لجميع ما يتديّن به وجمعه أديان**»[1].

- أما المعنى الحرفي للفظة الدين فلها معاني شتّى عند العرب؛ يقال: **دانه ديناً** أي **جازاه** ومصداق ذلك قوله تعالى: «**إنا لمدينون**» أيْ مجزيون ومحاسبون على أفعالنا، ومنه **الديّان** وهي صفةٌ من صفات الله جل وعلا، **والدين**: **الجزاء**، **والدين**: **الحساب**، كما في قوله تعالى: «مالك يوم الدين»، **والدين**: **الطاعة** وقد دنته ودنت له، أي أطعته، والجمع: الأديان. والدين: العادة والشأن كما في قول العرب: ما زال ذلك ديني أي عادتي[2].

- أما **القاموس المحيط للفيروزآبادي** فيعرّف الدين بأنّه ما له أجل كالدِينة (بالكسر): أدين وديون ودِنته (بالكسر) وأدنته، أعطيته إلى أجلٍ وأقرضته، ودان هو أخذه، ورجلٌ دائنٌ ومدينٌ ومدان. والدِّين (بالكسر): الجزاء وقد دنته بالكسر ديناً، وقد دنت به (بالكسر): العادة والعبادة[3].

- ونفس هذه المعاني اللغوية لدى **الرازي** في «**مختارالصحاح**» حيث يقول «الدين بالكسر: كالعادة والشأن، ودانه يدينه ديناً بالكسر: أذلّه واستعبده فدان. وفي **الحديث**: الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والدّين أيضاً: الجزاء والمكافأة: يقال دان يدينه ديناً أي جازاه. يقال «كما تدين تدان» أي كما تُجازي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت. والدين أيضاً الطاعة. ومنه الدين والجمع أديان[4].

ويتضح من كلِّ هذه التعريفات اللغويّة أنّ الدين في اللّغة هو **العادة والحالة التي يكون عليها الإنسان مطيعاً وذليلاً أمام دائنه**، ينتظر الجزاء منه بحسب عمله. إن الدين إذاً **حالةُ المرء إزاء شأنٍ ما**، ولا شكّ أن هذا المعنى اللّغوي بكلِّ اشتقاقاته يجعلنا أمام طرفين؛ طرفٌ أعلى

---

[1] المعجم الوجيز: من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 2009 ، ص 241.

[2] ابن منظور :لسان العرب(مادة دين)، الجزء 17، ص ص 24-30.

[3] الفيروز ابادى :القاموس المحيط، الجزء الرابع، مؤسسة البابي الحلبى، القاهرة، ب ت، نقلا عن د .سعيد مراد، المدخل إلى دراسة تاريخ الأديان، مكتبة الرشيد بالزقازيق، 1998، ص 7.

[4] محمد عثمان الخشت :مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2003 ، ص ص 13-14.

وطرفٌ أدنى، والدين هو حالةٌ للطرف الأدنى الذي هو محتاجٌ للطرف الأعلى. ومن هنا ارتبط الدين بالاستسلام والطاعة للمعبود، كما يستسلم المرء لمن يدينه ويستكين طاعةً له وذُلاً في الطلب.

أما في اللّغات الغربيّة الإنجليزية والفرنسية فكلمة Religion مشتقّةٌ عن اللاتينية Religio[5] وهي تعني بشكلٍ عامٍ **الإحساس المصحوب بخوفٍ أو تأنيبِ ضمير، بواجبٍ ما تجاه الآلهة**.

وبوجهٍ عام فإنّ الدين سواءً في اللّغة العربيّة أو في اللغات الأخرى من دان أي خضع وذلّ، ومنها دان بكذا فهي ديانةٌ وهو دينه، وتديّن به أي أصبح متديناً. والكلمة إذا أطلقت يُراد بها: ما يتديّن به البشر، ويدين به من اعتقادٍ وسلوك. وبمعنى آخر هي طاعة المرء والتزامه بما يعتنقه من فكرٍ ومبادئ. ويميّز في اللغة العربية بين الدين باعتباره العادة أو الشأن أو الحال، وبين التديّن الذي هو الخضوع، والاستعباد، والديّان التي تطلق على الإله الخالق الذي يوكل إليه في النهاية الحساب من ثوابٍ وعقابٍ حيث ينبني الدين على المكافأة أو الجزاء فيجازى الإنسان على عمله خيراً أو شراً .

وأديانٌ هي جمع دين: أما رجال الدّين فهم المطيعون المنقادون، وقد يُحمّل الدينُ الإنسانَ ما يكره، ومن هنا تأتي كلمة الدين بمعنى القرض، إما بالأخذ أو بالعطاء في ما كان له أجل، كما أجله الجزاء والحساب والطاعة والمواظبة والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والحاسب والمُجازي الذي لا يضيّع عملاً بما يجزي بالخير والشر؛ ففي الديانة: عزّةٌ ومذلّةٌ، وطاعةٌ وعصيانٌ، وعادةً في الخير أو الشر والابتلاء.

2/ <u>المعنى الاصطلاحي للدين</u>: تتعدد التعريفات الاصطلاحيّة للدين حسب جهة النظر التي يؤمن بها ويعتقد فيها صاحب التعريف؛ فالفلاسفة المحدّثون أكّدوا على عدّة معانٍ للدين، ومن جهتهم علماء الاجتماع والأنتروبولوجيين، وعلماء الدين والفقهاء كان لهم رأي أيضا في الموضوع:

2-1/ **<u>حسب الفلاسفة</u>**: فالفلاسفة المحدّثون أكّدوا على عدّة معانٍ للدين منها:

- «أنه جملةٌ من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جرّاء حبّها لله، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره».
- «أن الدّين هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدّم أو الإيمان بالجمال أو الإيمان بالإنسانيّة، ففضل المؤمنون بهذه القيم كفضل المتعبّد الذي يحبّ خالقه ويعمل بما شرّعه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بما يتّصف به من تجرّدٍ وحبٍّ وإخلاصٍ وإنكارٍ للذات».
- ومنها أن «الدين مؤسسةٌ اجتماعيّةٌ تضمّ أفراداً يتحلّون بالصفات الآتية :

أ- قبولهم بعض الأحكام المشتركة وقيامهم ببعض الشعائر .

ب- إيمانهم بقيمٍ مطلقةٍ وحرصهم على تأكيد هذا الإيمان وحفظه.

---

[5] اختلف العلماء الغربيون في أصل اشتقاق كلمة "Religion" وانقسموا إلى فريقين:

أ/ يرى الفريق الأول أنها أخذت من الأصل اللاتيني "Lig" ومنه الفعل "Religare" أي الربط بين الرجال والألهة، وبين ما هو انساني وما هو فوق انساني، وقد تبنى هذا الراي "لاكتانس Lactance" والقديس أوغسطين، سرفيوس Servius، وفي العصر الحديث "جيبو"، "دي لاجراسري"، والدين حسب هذا الفريق هو "ارتباط جماعة انسانية بإله واحد أو آلهة متعددة، وكل ديانة تجمع معتنقيها الأجياء والأموات في مجمع واحد"، ويدعم هذا الفريق اجتهادهم بان اصل كلمة المعنى الذي يقابله في الإغريقية هو "pastis" بمعنى رباط أو ايمان.

ب/ يرى الفريق الثاني والذي يمثله "روجيه باستيد R. Pastide، جيفونز Jevons أن كلمة "Relinion" أخذت من الأصل الاشتقاقي "Leg" ومنه الفعل "Relegare" الذي يشير إلى العبادة القائمة على الخشوع، الرهبة، الاحترام، أو بمعنى الاستقبال، التلقي، الجمع، ويعزز هذا الفريق اجتهادهم بان أصل الكلمة تقابل باللاتينية Parateresis التي تعني الاهتمام بملاحظة الفأل، التطير، اداء الشعائر.

ج- اعتقادهم أن الإنسان متصلٌ بقوّةٍ روحيّةٍ أعلى منه، مفارقة لهذا العالم أو سارية فيه، كثيرة أو موحدة.

- **كانط يعرف الدين في كتابه "الدين في حدود العقل" بأنه:"الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية".**

- **الأب شاتل في كتابه "قانون الإنسانية" "الدين مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه".**

- **هاربرت سبانسر في كتابه "مبادئ أولية": "تعبر الأديان عن اقتناع ضمني بأن وجود العالم بما فيه وبما يحيط به، يعتبر شيئا غامضا يتعذر تفسيره". وفي موضع آخر:"إن الأديان على قدر اختلافها في عقائدها المعلنة، تتفق ضمنيا في إيمانها بأن وجود الكون هو سر يتطلب التفسير"، والدين حسبه " الاعتقاد بالحضور الفائض لشيء غامض وعصي على الفهم"[6].**

- **إميل برنوف "علم الديانات" "الدين هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج: فهي عمل عقلي به يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي أو انعطاف محبة، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة".**

- **ماكس موللر "نشأة الدين ونموه" :"إن الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي".**

- **م. رافيل :" إن الدين هو اشتراط الحياة الإنسانية بإحساس بالاتصال بين العقل الإنساني وعقل خفي يتحكم بالكون، وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة".**

- **شلماخر "مقالات عن الديانة": " إن الدين هو الشعور باللانهائي واختباره له، وما نعنيه باللانهائي هنا، هو وحدة وتكامل العالم المدرك، وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع، وإنما تنبني عن نفسها للمشاعر الداخلية، وعندما تنتقل المشاعر إلى حيز التأملات، فأنها تخلف في الذهن فكرة الله، وإن الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إما نحو المفارقة والتوحيد، أو نحو نوع معين غير مشخص للألوهية يتسم بوحدة الوجود".**

- سالومون رييناك (التاريخ العام للديانات): "الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا"[7].

- **ولترستيس يرى بأن «الدّين هو تعطش النفس إلى المستحيل؛ إلى ما هو بعيد المنال، إلى ما يفوق التصور.. وأن الدين ينشد اللامتناهي؛ واللامتناهي بحكم تعريفه مستحيلٌ أو بعيد المنال فهو إذن بحكم تعريفه ما لا سبيل إلى بلوغه أبدا.. والدين أيضاً ينشد النور ولكنّه النور الذي لا يمكن العثور عليه في أيّ مكان، أو في أيّ زمان. إنه ليس موجوداً في أيّ مكانٍ أو هو النور الذي لا وجود له أصلاً في عالم المكان.. إنّ الدين هو النزوع إلى قطع العلائق مع الكينونة والوجود معاً أو هو الرغبة في التحرّر تماماً من أغلال الكينونة.. إن الدّين هو هذا النهم الذي هيهات لأيّ وجودٍ ماضياً كان أم حاضراً أم مستقبلاً، بل هيهات لأيّ وجودٍ فعليٍّ أو لأيّ وجودٍ ممكنٍ في هذا العالم أو في أيّ عالمٍ آخر على الأرض أو فوق السحب والنجوم مادياً كان أو نفسياً أم روحياً، هيهات له أن يشبعه».**

2-2/ حسب علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا:

- **يعرفه اميل دوركايم «الدين مؤسسةٌ اجتماعيّةٌ قوامها التفريق بين المقدّسٍ وغير المقدّس "المدنس"، ولها جانبان أحدهما روحيّ مؤلّفٌ من العقائد والمشاعر الوجدانيّة، والآخر ماديّ مؤلفٌ من الطقوس والعادات»**، وينظر دوركايم إلى الدين على أنه نسق مركب من الأساطير والعقائد أو المذاهب والطقوس والشعائر ويتكون من قسمين:

---

[6] فراس السواح، دين الانسان "بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني"، ط4، منشورات دار علاء الدين، 2002، ص 23.

[7] محمد عبد الله دراز، الدين " بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، د، س، ص ص 34-36.

- **العقائد:** وهي عبارة عن حالات فكرية أو تصورات ذهنية.
- **والعبادات:** وهي طرق عملية للسلوك، يقوم بها الإنسان حيال الأشياء المقدسة

- **احمد الخشاب:" يرى أن الدين هو مجموعة من الظواهر الإعتقادية والعملية التي تتصل بالعالم المقدس أو تنظيم سلوك الإنسان حيال هذا العالم".**

- **ملثون بنجر:"هو نسق من المعتقدات والممارسات التي بواسطتها تكافح جماعة الأفراد المشكلات المطلقة للحياة الإنسانية".**

- ويتفق منظري علماء الاجتماع على أن الدين: "**مجموعة الأفكار المجرّدة والقيم أو التجارب القادمة من رحم الثقافة، ولذلك فالدّين هو رؤيةٌ لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية والأعمال، والمعتقد الديني يرتبط عادةً بالطبيعة، الوجود، وعبادة إلهٍ واحدٍ أو آلهة، وإشراك الآلهة في الكون والحياة البشريّة وقد يتعلّق ذلك بالقيم والممارسات التي تنتقل من قِبل الزعيم الروحي للديانة في بعض الديانات، أما في الديانات الإبراهيميّة (السماوية) فمعظم المعتقدات الأساسية قد كشفت من خلال الإله (أي عبر الوحي الإلهي لأحد الأنبياء أو الرسل).**

- **تايلور:**"الدين هو الاعتقاد بوجود كائنات روحية".
- **فريزر:** "هو الاعتقاد في قوة غيبية غير مشخصة".
- **شيشرون (عن القوانين):** "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله".

2-3/ **<u>تعريف المسلمين للدين</u>**: وإذا انتقلنا من هذه التعريفات العامة والفلسفيّة والأنثروبولوجية إلى المنظور الإسلامي لتعريف الدين فإنّ الدين عند فلاسفتنا القدامى يُطلق "**على وضعٍ إلهيٍّ يسوق ذوي العقول إلى الخير**".

- **أبو البقاء في كتابه «الكلّيات»** حينما قال في معرض تعريفه للدين أنه «**عبارةٌ عن وضعٍ إلهيٍّ لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات قلبياً كان أو قالبيّاً كالاعتقاد والعلم والصلاة. وقد يتجوّز فيه فيطلق على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملّة**".

وفي نفس السياق يتحدث **الجرجاني** في تعريفه للدين حيث يقول:"**أنه وضعٌ إلهيٌّ يدعو أصحاب العقول إلى ما هو عند الرسول صلّى الله عليه وسلم. الدين والملّة متّحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمّى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمّى ملة. ومن حيث إنها يُرجع إليها تسمّى مذهباً، وقيل الفرق بين الدين والملّة، والمذهب أن الدين منسوبٌ إلى الله تعالى، والملّة منسوبةٌ إلى الرسول، والمذهب منسوبٌ إلى المجتهد**".

وقد أورد" محمد عبد الله دراز "في كتابه "الدين" تعريفا جامعا للدين، بعدما عرض وحلّل تعريفات الإسلاميين والغربيين للدين، فقال:"**الدين هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرّف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد. وبعبارة موجزة :هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة**".

ثالثا/ <u>صفات الأديان</u>:

أ- الاعتقاد في قيمةٍ مطلقةٍ لا تعدلها أيّ قيمة أخرى.

ب- ممارسة شعائرٍ وطقوسٍ معيّنة.

ج- ارتباط الفرد بقوّةٍ روحيّةٍ عليا وقد تكون هذه القوّة متكثّرةً أو أحادية

رابعا/ <u>خصائص الأديان</u>:

- الإيمان بوجود إلهٍ أو كائنات فوق طبيعية، فمعظم الأديان تعتقد بوجود خالقٍ واحدٍ أو عدّة خالقين للكون والعالم قادرين على التحكم بهما وبالبشر وكافّة الكائنات الأخرى .
- التمييز بين عالم الأرواح وعالم المادة.
- وجود طقوسٍ عباديّةٍ يقصد بها تبجيل المقدّس من ذاتٍ إلهيّةٍ وغيرها من الأشياء التي تتصف بالقدسيّة.
- قانونٌ أخلاقيٌّ أو شريعةٌ تشمل الأخلاق والأحكام التي يجب إتباعها من قبل الناس ويعتقد المؤمنون عادةً أنها آتيةٌ من الإله.
- الصلاة وهي الشكل الأساسي للاتصال بالله أو الآلهة وإظهار التبجيل والخضوع والعرفان .
- رؤيةٌ كونيّةٌ تشرح كيفيّة خلق العالم وتركيب السموات والأرض وبعض الأديان تحتوى على آليّة الثواب والعقاب أي كيف ينظم الإله شؤون العالم.
- شريعةٌ أو مبادئ شرعيّة لتنظيم حياة المؤمن وفقاً للرؤية الكونيّة التي يقدّمها هذا الدين.

خامسا/ <u>أقسام الدين</u>:

أ- العقائد الدينيّة. ب- الأخلاق الدينيّة. ج- العبادات الدينيّة.

سادسا/ <u>أسسٍ وثوابتِ الدين</u>:

- **مؤسّس الديانة**: وهو الشخصيّة التي أسست العقيدة وحدّدت ثوابتها ونظّمتها وأوّل من بشّرَت بها أو هي التي أنشأتها أو هي التي أُوحيَ إليها بالكتاب المقدّس.
- **اسم الديانة**: ويطلق اسم الديانة حسب اسمها المعتقد وله معنى، أو تطلق حسب اسم منشئِها أو حسب المكان الذي خرجت منه.
- **الكتاب المقدس**: ولكلِّ عقيدةٍ دينيّةٍ كتابها المقدس أو ربما عدّة كتبٍ مقدسةٍ وهو الكتاب أو الكتب التي أنشأها المؤسس الأول أو من اتبعوه من عظماء هذه الديانة، وعادةً ما يضمّ هذا الكتاب المقدس كلّ ما يتعلق بأركان هذه الديانة من فروضٍ وعقائدٍ وأخلاقياتٍ وسلوكياتٍ وتشريعاتٍ واجتماعيّاتٍ وتقويمٍ وأعيادٍ وعباداتٍ ومعاملات. ويظهر ذلك الكتاب أو الكتب إما باعترافها بتأليفها كما في البوذيّة والكونفوشيّة والطاوية والجينيّة، أو القول بأنّها مُوصى بها من قبل الله كما في اليهودية والمسيحيّة والإسلام.
- **التقويم**: لكلِّ دينٍ تقويمه الخاص الذي يتحكّم في كلِّ مواعيده مثل الأعياد والصيام ومواعيد الحج.. إلخ ويبدأ التقويم غالباً من وقتِ إنشاء الدين مثل التقويم الهجري عند المسلمين والتقويم الميلادي عند المسيحيين والتقويم العبراني عند اليهود .
- **اللغة**: ولكلِّ دينٍ لغة نزل بها، وهي ذات اللّغة التي تُمارس بها الشعائر.

<u>سابعا/ تصنيف الأديان</u>: إنّ المعتقدات الدينيّة لدى شعوبٍ وحضاراتِ العالم تتعدّد وتتنوّع أصولها وتفريعاتها لدرجةٍ يصعب بالفعل حصرها وتصنيفها، وقد اجتهد كثيرٌ من علماء تاريخ الأديان وعلماء مقارنة الأديان في تصنيفها. وبالطبع فقد اختلفت هذه التصنيفات تبعاً لميول هؤلاء العلماء وتبعاً للمناهج المتعدّدة التي اتبعوها، وبين هذه التصنيفات:

<u>- تصنيف هيجل</u>: قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

الأديان الطبيعية "الفطرية" وتضم الديانة المصرية، الفارسية، البراهمية، الصينية، وقسمها إلى الدين التلقائي "السحر"، والأديان ذات الجوهر، وجعل دين الصينيين "دين مقياس"، ودين البرهميين دين تخيل، ودين الفرس دين خير ونور، دين البوذيين دين مراقبة باطنية.

الأديان الملهمة "الموحى بها" وتضم دين اليهود، اليوناذ الرومان، وقسمها إلى دين السمو لدى اليهود، دين الجمال لدى اليونان، دين المنفعة والعقل لدى الرومان.

الدين المطلق "الكامل" وتضم المسيحية.

- **تصنيف رتيل**: قسمها إلى أديان طبيعية وتتميز بكثرة الحيوانات المعبودة وبالسحر، وأديان خلقية "الملهمة الروحانية" ومنها الكونفوشية، المزدكية الايرانية، البراهمية، والبوذية والمسيحية.

- **تصنيف سيبك** Siebeck: ويقسمها إلى أديان أخلاقية، وأديان منقذة، ويرى اليهودية دين انتقال بين دين السلوك ودين الخلاص، ويعتبر البوذية الدين المنقذ الحق، والمسيحية الدين الايجابي، والإسلام دين الأخلاق.

- هذا وقسمها البعض حسب الأقوام التي تدين بها، ومنها ظهرت الأديان السامية (ديانة بلاد الرافدين، الفينيقية، اليهودية والإسلام)، والأديان الآرية (البرهمية، البوذية، الزرادشتية. الديانة الاغريقية والرومانية). ومنهم من صنفها إلى أديان قبلية، قومية، عالمية.

- تصنيف الأديان إلى **حيّة وميتة**، وهذا التصنيف يستند على وجود هذا الدين أو عدم وجوده على مسرح الحياة الحديثة والمعاصرة؛ فالأديان الحيّة هي التي لها وجودٌ حاليٌّ ولها أتباعٌ يؤمنون بها. أما الأديان الميتة فهي التي زالت من الوجود وانتهت في التاريخ ولم يعد لها أتباع يؤمنون بها حاليا.

- تصنيف الأديان إلى **حقيقيةٍ وباطلة**، وهو تصنيفٌ ذاتيٌّ يخضع لرؤيةٍ دينيّةٍ أو مذهبيّةٍ معينة. ولذلك فهو يكون عادةً تمييزاً بين دينٍ واحدٍ حقيقيٍّ هو ديني أنا وطائفتي الذي نؤمن به، وبين دياناتٍ أخرى باطلةٍ وزائفةٍ لأننا لا نؤمن بها.

- التصنيف **الإحصائي للدين**، وهو تصنيفٌ يستند على أعداد المؤمنين بكلّ ديانة من الديانات، ومن ثم فهو يتدرج من أكثر الديانات أتباعاً حتى أقلّها في عدد التابعين.

- التصنيف **الجغرافي للأديان**، وهو تصنيفٌ يعتمد على ما سمي في علم الجغرافيا بجغرافيّة الأديان وهو يختص بدراسة التوزيع الجغرافي للأديان وعمل الأطالس الجغرافيّة التي تحدّد مناطق انتشار الأديان في العالم وتهتمّ بتحديد الصّلة بين العوامل الجغرافية والفكر الديني وتأثير البيئة الجغرافيّة في العادات والتقاليد الدينية. ومن صور هذا التصنيف، النظر إلى الأديان من خلال التمييز بين أديان الشرق وأديان الغرب

- التصنيف **التاريخي للأديان**، وهذا التصنيف معنيٌّ بترتيب أديان العالم تاريخياً حسب ظهورها في التاريخ، فيقسّم الأديان حسب عصورها التاريخية مثلما يُقال أديانٌ قديمة، وديناتٌ وسيطةٌ، وديناتٌ حديثةٌ وأحياناً ما يتم التقسيم التاريخي إلى دياناتٍ بدائيةٍ ودياناتٍ حضارية.

- التصنيف **الديني الموضوعي** للأديان، وهذا التصنيف يعتمد على العامل الديني. ويعدّ هذا التصنيف أكثر التصانيف مناسبةً للأديان؛ إذ يقوم على أساسٍ من تشابه الأديان واختلافها في العقائد والمفاهيم الدينية، مثلما نصنف الأديان إلى أديانٍ إلهيةٍ وأديانٍ غير إلهيةٍ على أساس الإيمان بالألوهية، وهناك الديانات التعدّدية والديانات التوحيديّة على أساسٍ من التمييز بين الأديان التي يؤمن أتباعها بآلهةٍ متعدّدةٍ والديانات التي يؤمن أتباعها بإلهٍ واحدٍ فقط.

- وهناك في هذا الإطار تصنيفٌ آخر يقوم على التمييز بين الديانات السماوية والديانات الأرضيّة، فالديانات السماويّة هي الديانات المُنزلة من الله عبر الوحي، والديانات الأرضية مصدرها المعرفة الإنسانية الأرضيّة دون الاعتماد على الوحي أو على أيّ مصدرٍ خارجيٍّ للمعرفة.

- **تصنيف المسلمين**: قسم المسلمون الأديان إلى صحيحة وباطلة، أي الأديان الموحى بها والأديان الطبيعية، وسمى مؤرخو المسلمين الأقوام التي تدين بالدين الصحيح بأهل الملل، أما معتنقو الأديان الباطلة فسموا بأهل النحل.

ثامنا/ مكونات الدين

1/ المعتقد: هو كل ما يتصوره الإنسان ويؤمن به، بحيث لا يقبل فيه الشك، وهو مجموعة من الأفكار والتصورات التي توضح بحسب معتنقيها الغاية من الحياة والكون، كما يعرف بأنه الاعتقاد المرتبط بما وراء الطبيعة والإلهيات، كما يرتبط بالأخلاق والمؤسسات المرتبطة بذلك المعتقد، وهو المجموع العام للإجابات التي تفسر علاقة البشر بالكون، وفي مسيرة تصور الأديان.

المعتقد مجموعة أشكال التعبيرات المنبثقة عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي على حيز التأمل الفردي، وهذه الخبرة تؤدي إلى تكوين المعتقد، عن طريق نقل تلك الانفعالات والتصورات والتجارب الداخلية على العالم الخارجي، ويعمل الجيل اللاحق على نقل ذلك المعتقد وصقله وتطويره، فما من خبر وصلنا عن أهل الديانات القديمة، يفيد بأنهم أخذوا معتقدهم جاهزا عن جهة أو شخص بعينه، فشعوب بلاد الرافدين، كنعان، مصر قد تركت لنا مدونات عن معتقداتها وأساطيرها وصلواتها، دون أن تذكر شيئا عن صدور دياناتها عن كاهن أو عراف.

- **خصائص المعتقد**:

- المعتقد شأن جماعي وليس فردي، فمن غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به حتى لا تتضارب المعتقدات.

- استمرار المعتقد يتطلب عدد كبير من الأفراد وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه.

- إن آلهة المعتقدات بحاجة إلى البشر حاجة البشر إليها، فالآلهة كانت تستمد حياتها من الناس الذين يحملونها في أفكارهم، كما كان الناس يستمدون منها الطاقة الروحية التي تعينهم على الاستمرار في الحياة.

- المعتقد يتألف من الأفكار الواضحة والمباشرة التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل لتخرج في الخير في شكل أدب ديني، مثل الترتيلة الطويلة للفرعون أخناتون المرفوعة إلى الإله "آتون".

2/ الطقوس: وهي الجانب السلوكي للدين ويشمل: الحركات والأقوال من صلوات وتراتيل وقرابين ورقص واحتفالات، يكون التوازن بين الجسم والنفس والخضوع واسترضاء المعبودات، وهناك الطقس الفردي الناتج عن الحالة الانفعالية للفرد، وهو يمثل الخبرة الدينية المباشرة والذي يتحول تدريجيا إلى طقس جماعي، ثم يتم تنظيم الطقوس وضبطها بحيث يؤمن بها الجميع من أتباع ذلك الدين ويرون فيها تعابير عن تجاربهم الدينية الفردية الخاصة ويتوافقون عليها.

- كل صورة ذهنية لا تخرج من عالم الفكر إلى عالم الفعل هي صورة معرضة للتحجر والتلاشي والزوال، لكي يتم غرس فكرة حب الوطن لدى الجنود، فإنهم يرددون أناشيد حماسية يتم فيها تحية العلم جماعيا، فالطقس يتأتي كنتاج لمعتقد معين فيعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه، فالمعتقد يرسم صورة ذهنية واضحة التأثير للعوالم القدسية، لكن الأفكار وحدها لا تصنع دينا بالغا واضحا متناسقا، فهي تحتاج إلى نظام طقسي لاسترضاء الآلهة وتسخير قواها لمصلحة البشر، هذا وتعمل الطقوس على إعادة خلق الإيمان بشكل دوري، كما تجدد الحماس للأفراد وتعطيهم الإحساس بوحدة إيمانهم ومعتقداتهم.

3/ الأسطورة: حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي، تنشأ عن المعتقد الديني، وتكون امتدادا طبيعيا له، فهي تعمل على توضيحه وإغناءه وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الأجيال، كما أنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه إلى العواطف والانفعالات بين الأجيال، فالأساطير هي التي ترسم صورة الآلهة، وتعطيها أسمائها، وتكتب لها سيرتها الذاتية وتاريخ حياتها، وتحدد لها صلاحيتها وعلاقاتها بعضها ببعض.

المعتقد، الطقس، الأسطورة، هذه المقومات المكونة للدين، والتي لا نستطيع التعرف على الطاهرة الدينية في تبديها المجتمعي، بدون التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة، إن الحالة المثالية هي الحالة التي لا يطغى فيها عنصر من هذه العناصر على الأخرى، ولكن واقع الأمور لا يضعنا إلا فيما نذر أمام مثل هذه الحالة المتوازنة، ومعظم الأديان يبدي تفوقا لأحد هذه العناصر على الأخرى.

المحاضرة الثانية: ظهور الدين في الحضارات البدائية الأولى

يختلف الفلاسفة والعلماء حول نشأة الاعتقاد الديني وضرورته لدى الإنسان، وإن كان أغلبهم يميل إلى أنّ الدينَ فطرةٌ في النفس البشريّة. والفطرة هي الطبيعة التي خلقها الله في جميع البشر، ومن هنا فإنّ الحقيقة التي أجمع عليها مؤرّخو الأديان هي أنه «ليست هناك جماعةٌ إنسانيّة، ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكّر في مبدأ الإنسان ومصيره وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه ودون أن تتخذ لها من هذه المسائل رأياً معيناً حقّاً أو باطلاً، يقيناً أو ظنّاً، تُصوّر به القوّة التي تخضع لها هذه الظواهر في شأنها والمآل الذي تصير إليه الكائنات بعد تحولها .

الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أن النزعة الدينية متعمقة ومتأصلة في الإنسان ومغروسة فيه فهي فطرة وغريزة. فما عُرِفت جماعة من البشر خالية عن دين تتدين به، وإن خلت عن العلوم والثقافات إلا أنها لا تخلو عن دين وعقيدة -سواء كانت هذه الجماعة قديمة أو حديثة، متحضرة أو غير متحضرة- كما يقول هنري برجسون:"لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد جماعة بغير ديانة".

1/ بواعث التدين:

- الحاجة الفردية.
- الخوف من الطبيعة والإحساس بروعة المجهول.
- الاعتقاد بأن لكلّ مادّةٍ روحاً تحمل فيها وأنّ الاستحواذ على هذه الروح يمكّن الإنسان من استخدامها والانتفاع بها.
- السحر الذي اعتبره البعض المصدر الذي دفع الإنسان إلى التدين.
- العادات والتقاليد حيث إن الأجيال تحرص دائماً على تقليد بعضها البعض في التديّن وهذا يلخص قوله تعالى: «قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون". (الشعراء، 74).
- الباعث على التدين هو الحاجة الاجتماعية، وذلك أن المجتمعات البشرية تحتاج إلى نظم وقوانين تحفظ الحقوق وتصون الحرمات ويؤدي الإنسان واجبه من خلال المراقبة الداخلية فتولدت في أذهان البعض فكرة الدين وتقبلتها منهم الجماعة.

2/ نشأة الدين:

بدأت الدراسات الاجتماعية تبحث في أصل الدين وتحديد نشأته منذ بداية القرن الثامن عشر، فظهرت نظرياتٌ عدّة في هذا الشأن؛ فمن الفلاسفة وعلماء الاجتماع من نَحَا نَحْواً إلحاديّاً في تفسير الدين إذ قال بإنسانيّته؛ أي أن الإنسان هو الذي صَنع الدين لغاياتٍ ومآربَ خاصة؛ بينما حاول آخرون أن يجدوا في أساس البشرية الأُولى اعتقاداً كامناً فطريّاً في نفس البدائي عن فكرة الإله السامي، فالدين برأي هؤلاء بدَهيةٌ أولية في فجر الإنسانية؛ إذ إن الإنسان مجبُولٌ على الحاجة إلى أن يؤمن ويُقدس ... فالإيمان مرتكز في طبعه وفي فطرته، ويسُوق علماء الاجتماع مجموعةً من الدوافع والبواعث التي يعُدونها أدلّةً على كون التدين فطرةً في نفس الإنسان، مثل : التطلع إلى الغيب، والعجز أو الشعور بالنقص والخوف، والتأمل في المبدَعات الكونية.

وثمة نظرياتٌ ومذاهبُ عدةٌ في أصل الدين ونشأته؛ ومن ذلك:

1-2/ <u>النظرية الطبيعية</u>: ساهم في صياغة هذه النظرية كل من الألماني كوهن Kuhn والفرنسي Breal ويبقى ماكس موللر Max Muller رائد هذه النظرية، حيث لخص أفكاره في كتاب "بحوث في علم الأساطير المقارن"، ويرى أصحاب هذه النظرية أن الدين محاولة أولى من جانب العقل الإنساني لتفسير ظواهر الطبيعة وقد هداه إلى ذلك ما عليه الكون من تناسق وانتظام فنُسِب هذا التناسق والانتظام الكوني إلى قوة مستقلة عن البشر يخضع لها نظام العالم، وبالتالي فإن العواطف الدينية في أشكالها الأولى نشأت نتيجة استثارة جاءت من عالم الطبيعة، وزرعت في نفس الإنسان البدائي بذور الإحساس الديني.

ويرجح -ماكس موللر -أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الأبد الذي ليس له انتهاء، وأنه مثل هذه الروعة بأعظم ما يراه في الكون وهو الشمس التي تملأ الفضاء بالضياء، فهي محور الأساطير والعقائد، كما ثبت له من المقابلة بين اللغات واللهجات، حيث ينطلق موللر من أسفار الفيدا السانسكريتية في الهند، فيجد أن معظم أسماء الآلهة الهندو-أوربية هي كلمات دالة على ظواهر طبيعية، فالاسم "أغني Agni" الذي يطلق على إله النار، هو نفسه إله النار، سواء في السنسكريتية أم في اللغات الهندو-أوربية الأخرى، ففي اللاتينية لدينا كلمة "ignis" التي تدل على النار، ومثلها كلمة Ugnis بالليتوانية، وOgni بالسلافية القديمة. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الدين هو اللغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الإحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق حواسه وقلبه، والشعور الديني يعترف في بدايته بوجود عدة آلهة ولكن كلما توجه الشعور بالفرد لعبادة أحد الآلهة، سرعان ما يصبح هذا الإله في نظره أقوى الآلهة جميعا، فيتصف بصفات الآلهة الآخرين. ويذهب بعض المفكرين إلى أن الإنسان الأول أحس بضعفه أمام ظواهر الطبيعة ولذلك كان لا بد له من سند يبتدعه ابتداعا ليستشعر الطمأنينة بالتعديل عليه والتوجه إليه بالصلوات في شدته وبلواه!!!

2-2/ <u>النظرية الروحانية "الأرواحية</u> Animism": يرى الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر أن البشرية قد مرت في مراحلها الأولى بزمن لم تعرف خلاله الدين، ثم بدأ الدين بالتكون عندما أخذت الجماعات البشرية بتقديس أرواح زعمائها الراحلين، وتحولت أرواح هؤلاء الأسلاف المبجلين تدريجيا إلى آلهة، ثم جاء الأنتروبولوجي تايلور فطور هذه الفكرة، وانتقل خلالها إلى الربط بين فكرة الروح وتطور مفهوم الآلهة ونشوء الدين، ومن فكرة الأرواح البشرية، انتقل تايلور إلى فكرة الأرواح الكامنة في مظاهر الطبيعية[8].

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الديانات قامت في أساسها على عبادة الأرواح، فقد اهتدى الإنسان البدائي منذ القدم إلى فكرة الروح من تلك الحياة المزدوجة التي تجمع بين النوم واليقظة، فاعتقد أنه مكون من كائنين هما: الجسد والروح، ونسب إلى الأخيرة كل ما يصيبه من نجاح أو فشل وبذلك أصبح لزاما عليه أن يرضيها ويتقرب إليها وينزلها منزلة التقديس وعن هذه الأفكار انبثقت عبادة الأرواح

[8] فراس السواح، دين الإنسان، المرجع السابق، ص 312.

ومع الاعتراف بأن الرجل البدائي يتصور العالم الخارجي مليئا بالنفوس والأرواح التي تتقمص كل شيء فإنه يشعر دائما بكيانه ووجوده المستقلين تماما عن الأشياء، بل إنه يقف في معظم الأحيان موقف التحدي من ذلك العالم الخارجي ومن الظواهر الكونية المختلفة وعلى الرغم من إيمانه بوجود أرواح قوية وجبارة تسير هذه الظواهر الكونية والطبيعة، فإنه يحاول دائما التغلب عليها وإخضاعها لمشيئته والتحكم فيها بما يتفق وصالحه الخاص.

3-2/ <u>النظرية الطوطمية</u>: يعرف Haas الطوطمية[9] بأنها ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية ورمز معين يسمى"الطوطم[10]"، والطوطم كما يُحدده Ferguson يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحيا كأن تتخذ القبيلة مثلا من حيوان معين رمز طوطمي لها[11].

يرى دوركايم أن الطوطم هو الجد الأكبر الذي ينتمي إليه أفراد القبيلة ويعتقدون في وجود علاقة قرابة دموية تربطهم بالطواطم[12]، ومع تطور المعرفة عند الإنسان البدائي وارتقائه أخذ هذا الإنسان يتصور أن روح هذا الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار وأصبح لكل قبيلة حيوانها الخاص الذي تعبده وتبجله، ومن هنا نشأت فكرة "الطوطم" وهو مرة طائر ومرة ثعلب ومرة بقرة وتارة أخرى شجرة عتيقة، وهكذا ومع تطور الفكر الإنساني تعددت القوى وتبدلت بما يتوافق مع تعدد حاجات هذا الإنسان ومخاوفه، بالإضافة إلى تعدد العوامل الجغرافية والطبيعية التي يعيشها ولكي يتقرب الإنسان البدائي من هذه المعبودات ادعى بقرابته منها وبأصله الواحد الذي يجمعهما معا، وهكذا نشأت أولى الأفكار التي كونها الإنسان بطبيعته[13]، ويعد الطوطم رفيق ومساعد مع الأرواح الخارقة، وهو

---

[9] ولقد أخذت كلمة" طوطم "عن الأوجيبوا، وهي كما يشير كلا من Hottma وFershtman من لغة الغونكية التي يتحدث بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، ويستخدم الأوجيبوا كلمة" طوطم "بمعنى علاقة اجتماعية قد تكون صلة قرابة أو صداقة قائمة أو لقبا بين شخصين، تنتظم من خلالها أفراد الجماعة فى عشيرة واحدة تتخذ لها رمزا من خلال إحدى الفصائل الحيوانية، ينظر: Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable, in: American Economic Journal: Microeconomics 3 (May 2011),pp. 139–140.

[10] Haas, E. Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002, Psyche, 56, pp. 139–44.

[11] Ferguson. M. J., "The Worship of Animals and Plants", Fortnightly Review, 6, 1868, pp 407–427, 562–82.

[12] فسر فرويد أصل الطوطمية اعتمادا على نظرة فلسفية تخيلية إذ رأى أن التطور التاريخي الذي قطعته البشرية سنجده يرجع لقبيلة بدائية تشبه تجمعات الحيوانات، يحكمها زعيمٌ واحدٌ قويٌّ، يخضع له جميع الأبناء، في ذات الوقت الذي يحتكر فيه النساء لنفسه، ويقضي بأعمال قاسية لمن يحاول منازعته في امتلاك النساء ..لكن الأبناء اجتمعوا على الانتقام من الأب، بقتله، ثم التهامه، وبفعل هذا الالتهام اتحدوا مع الأب، ليضعوا بذلك حدًّا للأسرة البدائية، وفرويد يعتقد أن الإخوة الذين وحّدوا كلمتهم ليفتكوا بالأب، لا بدّ أنه قد راودت كل واحد منهم الرغبة في أن يصير مثل الأب، لهذا سعوا لإشباع هذه الرغبة بابتلاعهم له، لكن هذه الرغبة لم تُشْبع بسبب ضغط روابط العشيرة الأخوية على كل فرد من أفرادها، وهؤلاء الأبناء الذين تمردوا على أبيهم والتهموه — كما يرى فرويد – كانوا يخضعون لمشاعر مزدوجة للعقدة الأبوية؛ إذ كانوا يكرهونه، نتيجة اعتراضه بعنف تجاه حاجتهم إلى تحقيق القوة وتلبية مطالبهم الجنسية، لكنهم في ذات الوقت يهابونه ويمجدونه .. ونتيجة قتلهم إياه واقترانهم أو اتحادهم معه بالتهامه، نشأ لديهم شعور بالذنب والندم، مما دفعهم إلى تخليد صورة الأب على شكل طوطم، معلنين تحريم قتله كنائب للأب، كما أن ما قد حرّمه الأب في السابق، بمجرد وجوده بالذات، باتَ الأبناء يحرّمونه على أنفسهم، بسبب" الطاعة المرجأة" ، وقد تنصلوا من فعلتهم بتحريم قتل الطوطم وهكذا كان الربط الاسطورى بين الحيوان الطوطمي والأب أو الجد، فهم يمتنعون عن عن قتله ويعتقدون أنّ هذا الحيوان هو الجدّ الحقيقي للعشيرة، وهم بالتالي ينتسبون إليه فيحرمون قتله. وتتميز علاقة الفرد بالطوطم بأنّها علاقة تفاعلية تبادلية، فالطوطم روح حامية للإنسان والعشيرة، والإنسان يعبر عن احترامه له بعدة صور، كالامتناع عن أكله إن كان حيوانًا، أو قطفه إن كان نباتًا، وهو يحمل مع جماعته اسم ه يحظر زواج أعضاء طوطمهم ، كما أن الجماعة الطوطمية ممن ينتمون لنفس الجماعة، ويعاقب من يفعل ذلك عقابًا قاسيًا كالموت بالنسبة للرجل، والعض والطعن بالرماح حتى الموت بالنسبة للمرأة، فاعتبار الطوطم هو الجد الأول يؤخذ على محمل الجد في هذا الحظر، فجميع المنحدرين من طوطم واحد متّحدون بالدم. ينظر: سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، بيروت، 1997,

[13] مسعد بري، تطور الفكر الطوطمي(دراسة في الجغرافية الاجتماعية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، جامعة حلب، 2010 .

وجود مقدس حيث تعتبره الجماعات كهوية لها؛ يحرم لمسه وتحطيمه[14]، أما العلامة"براون" فينفي هذا الفهم للطوطم ويرى أنه كائن مقدس يعتقد أفراد القبيلة أن استمراره في عالمهم لا يتم إلا عن طريق طقوس معينة، ويرى "بيار ميتس" :" أن لدى الشعوب البدائية لكل فرد طوطمه أو الروح المفضلة لديه وفي بعض الأحيان نسميها الروح الحارسة وقد تتخذ شكل حيوان لا يمكن أن يصطاد أو يقتل ولا يتم أكل هذا الحيوان"[15].

وقد لوحظ أن تلك الطواطم تمثل ظواهر هامة بالنسبة لحياة القبيلة واستمرارها، ويعتقد الإنسان الأسترالي أن الإنسان يعتمد في معيشته على ظواهر الطبيعة سواء أكانت تتابع الفصول أو تكاثر الحيوانات أو نمو النبات أو تكاثر الإنسان، إن استمرار تلك الظواهر معناه استمرار حياة الإنسان وبالتالي استمرار المجتمع ذاته، ويعتقد كذلك أنه يستطيع أن يضمن استمرار تلك الظواهر عن طريق طقوس معينة، وتتلخص تلك الطقوس في أن يتجمع أعضاء القبيلة الواحدة في مكان معين يدخل في نطاق إقليم القبيلة، ويعتقدون أن الكائن المقدس قد جاء لأول مرة في ذلك المكان ويمكن تسميته بمركز الطوطم، ويقوم أعضاء القبيلة بأداء طقوس معينة منها الرقص والأدعية للطوطم أو الكائن المقدس بغية استمراره أو غزارته.

2-4/ <u>النظرية النفسية</u>:

ثمة تفسير آخر هو ما يمكن أن نطلق عليه التفسير النفسي (السيكولوجي) لنشأة الدين، والذي يقدّمه كلًّا من فرويد ويونج من علماء النفس المحدثين؛ إذ يرى فرويد أن الدين ينبع من عجز الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة في الخارج والقوى الغريزيّة داخل نفسه، وينشأ الدين -كما يضيف فرويد في كتابه «مستقبل وهم»- في مرحلةٍ مبكرةٍ من التطوّر الإنساني عندما لم يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله في التصدّي لهذه القوى الخارجية والداخلية، وكان الدين في رأي فرويد تكراراً لتجربة الطفل، حيث يتعامل الإنسان مع القوى المهدّدة له بنفس الطريقة التي تعلّم بها وهو طفل، وعلى هذا اعتبر فرويد أن الدين وَهْم، بل وخطرٌ لأنه يميلُ إلى تقديس مؤسساتٍ إنسانيةٍ سيئةٍ تحالف معها على مرّ التاريخ. ويعتقد فرويد أنّ الدين يستمد فاعليته من الانفعالات الداخلية؛ فالاعتقاد بالله يعكس ميول ورغبات كامنة في اللاشعور تظهر على شكلِ حاجةٍ إلى أبٍ سماوي يملك قدرةً كبيرةً لحماية الإنسان، كما كان الطفل يشعر بالحاجة للأب لحمايته في مرحلة الطفولة. وعلى هذا الأساس فالدين يمثّل حالةً نفسانيّة ناشئةً عند الإنسان من أوهامٍ وآمالٍ ورغباتٍ نفسيّةٍ في أعماق وجوده.

وفي نفس الإطار يرى يونج من خلال كتابه «علم النفس والدين» أن جوهر التجربة الدينية هو الخضوع لقوى أعلى من أنفسنا، ويربط بين اللاشعور والتجربة الدينية على أساس أن اللاشعور يمكن أن يكون مجرّد شطرٍ من العقل الفردي، بل هو قوّةٌ تند عن سيطرتنا وتؤثّر على عقولنا. ومن ثم فإن الخبرة الدينية تتسم بضربٍ خاصٍ من الخبرة العاطفيّة تتمثل في الخضوع لقوّةٍ أعلى سواءً أطلقنا على هذه القوّة اسم الإله أم أطلقنا عليها اسم اللاشعور.

2-5/ <u>نظرية الدين بالفطرة</u>:

نعتقد نحن المسلمين أن الباعث على التدين: هو الفطرة ، ونعتمد في إثبات ذلك على الوحي الإلهي والنور الرباني، ونعتمد كذلك على الشواهد الفعلية الموجودة في واقع الناس، فالدين فطرة مغروسة في نفوس الخلق لا تنفك عنهم كما قال تعالى: **"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (سورة الروم، 20).**

---

[14] زينب عبد التواب رياض خميس، الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بإفريقيا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 7/ ع 14، جامعة المسيلة، 2018، ص 245.

[15] Pierre Métais, « Essai Sur La Signification Du Terme (Totem)», R. H .R, 1951 Vol: 40 , n°1 , 1951, P 87.

نرى أنّ الدين فطرةٌ فطر اللهُ الناسَ عليها، فهم منذ فجر التاريخ بإرادتهم وعقولهم يعتقدون في دين ما. اختلفت مظاهر العبادة وأسماء المعبودات لكنهم في النهاية يؤمنون بعقيدةٍ ما حول أصل الخلق ونشأة الوجود وما وراء هذه الظواهر الطبيعية. وهذه الفطرة ليست لا شعورية بقدر ما هي فطرة عاقلة، حيث إن الإنسان هو الكائن الوحيد المتديّن في هذا الوجود ولم يكن ممكناً له أن يكون كذلك إلا عبر عقله الواعي وإرادته الحرّة. وهذه الحقيقة هي ما عبّر عنها القرآن الكريم بوضوحٍ في قوله تعالى: «**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**» (الأعراف- 172).

إن هذه الآية إذن تتضمن النظريّة الإسلاميّة لنشأة الدين، إذ يعرّف فيها القرآن حقيقةَ الباعث على التدين، فقد استخرج الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم التي سوف توجد جيلاً بعد جيل في قرن بعد قرن، وسألهم ألست بربكم؟ فأجابوا: بلى.. فكانت الفطرة التي خلق الله عليها الإنسان فطرةً سيمةً من حيث استطاعتها التعرّف على الله دون حاجةٍ إلى وسيط، فإذا انحرفت عن ذلك بعد ذلك فلا علّة لها ولا عذر. ولذلك فقد أبرز الله الحكمة من هذا السؤال والناس لا يزالون في عالم الذر يوم أن أخذ الله عليهم هذا الميثاق فقال تعالى: «**أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**»، «**أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**». وقد فسّر ابن عباس آية الأعراف التي سبق الإشارة إليها بقوله: إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطاه الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفّى به نفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول أي على الفطرة، ومن هنا ندرك حقيقة أن التدين مرتبطٌ بالفطرة وهي الميثاق الأول وهو قوله تعالى :"**فطرةُ الله التي فطر الناس عليها**".

3/- علم دراسة الأديان

3-1/ تعريف علم الأديان: هو علم يبحث في الأديان من حيث منشئها وتطورها وانتشارها وأتباعها في العقائد والأصول التي تتركز عليه الأديان المختلفة وفي أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينهما مع المقارنة والمناقشة والرد، وإن "تعدّدت الأديان السّماويّة بتعدّد الحاجة إليها، وبتعدّد الظّروف الّتي اقتضت نزولها، لكنّها اتّحدت في الأصول والمبادئ، وإن اختلفت بالتّفاصيل والفروع تبعًا لظروف إنزالها، وكذا البحث في الأديان الوضعية والمعتقدات القديمة لدى الإنسان البدائي من حيث النشأة والظهور والمبادئ وآلهتها وطقوسها.

وهو يشتمل على ثلاثة مباحث :

1/ أصول الأديـــان، ونقصد بها مصادر الدين.

2/ فلسفة الأديان، يدرس العلاقات بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة، من عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق ومعاملات التي تهدف إليها.

3/ مقارنة الأديان: ويدرس فيه خصائص ومميزات كل دين ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى.

3-2/ نشأة علم الأديـان :

الكتابة في الأديان وتفصيل عقائد الناس وعبادتهم وكذلك عقد المقارنات بين الأديان أول ما نشأ في بيئة إسلامية، إذ المسلمون هم أول من كتب في هذا النوع من العلم وأفرده بالتصنيف، وقد اعترف مفكرو الغرب في القديم والحديث بذلك فقد أشاد العلامة –يينارد دولابولي– في كتابه (الدراسة المقارنة للأديان) بابن حزم الأندلسي باعتباره رائدا لمقارنة الأديان في الفكر الإنساني كله.

وأما الأستاذ –إبريك ج شارب- فيرى أن شرف كتابة أول تاريخ للأديان في العالم يختص به الشهرستاني، الذي وصف أديان العالم العشرة المعروفة، اعتمادا على منهج تاريخي وعلمي دقيق. ويقول : فرانز روزنتال إن الغرب يعترف صراحة، بأن الدراسة المقارنة للأديان تعد واحدة من الانجازات العظيمة للحضارة الإسلامية ، أسهمت في التقدم الفكري للإنسانية كلها.

وكون علم الأديان ظهر مع المسلمين ولم يظهر مع أصحاب الأديان السابقة، لأن الأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالآخر. وكان كل دين يعد ما سواه من الأديان وما تطرحه من أفكار ومعتقدات نوعا من الهرطقة والضلال.

3-3/ <u>عرض سريع لتاريخ علم الأديان</u>:

<u>المرحلة الأولى: مرحلة التكوين.</u>

<u>العصر الفرعوني</u>: كلمة تاريخ الأديان كلمة معربة عن لغة الفرنجة، والتسمية بهذا الاسم مستحدثة لم تعرفها أوربا إلا عند فجر القرن التاسع عشر، على أن الحديث عن العقائد البشرية هو في جوهره شأن قديم، ومعاصر لاختلاف الناس في مللهم ونحلهم، تتسع مادته حينًا، وتضيق حينًا بمقدار تعارف أهل الأديان فيما بينهم، ووقوف بعضهم على مذاهب بعض، كما يختلف طابعهم ووجهتهم مسايرة لتشعب نزعات الباحثين وأهدافهم.

ولو أننا تتبعنا سلسلة الحديث عن الأديان من عهد الفراعنة، واليونان، والرومان، والمسيحية، والإسلام؛ فالنهضة الحديثة لاستطعنا أن نتبين اختلاف صوره فيما بين العصر والعصر، بل ربما بين الفترة والفترة، فمثلًا العصر الفرعوني لم يصل إلى أيدينا سجل جامع دوَّن فيه قدماء المصريين دياناتهم وأديان غيرهم، ولكن البحوث الأخيرة أثبتت إثباتًا لا يخالطه وَهْم أن المصريين بدءوا يسجلون عقائدهم وعوائدهم ووقائعهم، وألوان حياتهم: أقوالًا متفرقة مكتوبة في قراطيس البردي، أو منقوشة على جدران المقابر والمعابد، وأنهم تركوا إلى جانب ذلك مجموعات عظيمة من التماثيل المنحوتة، والأجساد المحنطة لملوكهم، ومقدساتهم من الطير، والحيوان، والأناسي وغيرها، وكذا صنعوا في شأن الأقاليم التي فتحوها كبلاد النوبة، وسوريا، والعراق وغيرها وعلى قدر سعة فتوحهم اتسعت صدورهم لمختلف العقائد، فتركوا لكل إقليم حريته في تقديس ما يشاء، واتخاذ ما يشاء من الرموز الموضعية.

<u>العصر الإغريقي</u>: فلم يبقَ الآن مجال للشك في أن القدامى من علماء اليونان وفلاسفتهم تخرجوا في مدرسة الحضارات الشرقية، وإن قدماء اليونان أنفسهم يذهبون إلى الاعتراف بهذه التلمذة إلى القول بأن عظماءهم أمثال فيثاغورس وأفلاطون مدينون بأرقى نظرياتهم إلى المدرسة المصرية، والناقدون المحدثون لم يسعهم إلا التسليم بتبعية هؤلاء الفلاسفة في الدين والأخلاق للنظريات المصرية، وفي حديثهم عن آثارهم ومعاركهم وأخبارهم، كانوا يتحدثون عن أسماء آلهتهم وآلهة خصومهم، ووصف القرابين والضحايا، والتوسلات التي يتوجه بها كل مظلوم أو مكروب إلى إلهه، وذكر ما يجري في زعمهم بين آلهة السماء؛ حيث تتشاور فيما بينها وحين تتنازع، وتنقسم آراؤها في الانتصار لهذا الفريق أو ذاك إلى غير ذلك.

ثم تطورت هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر حيوية في تسجيل المعالم الدينية، ولكنها كانت تتسم رواياتهم بالطابع الأسطوري والتمثيلي الذي يستمدُّه الكاتب من خياله، ثم يلي هذا دور الرحلات للمؤرخين الوصافين، وهذا الدور وإن كان كسابقه لم يفرد فيها للأديان تأليف مستقل؛ حيث كان الحديث عنها يمزج بالأوصاف الإقليمية وغيرها، إلا أن الاعتماد فيه كان على المشاهدات لا على التخيلات، كما أن نطاق البحث فيه كان أوسع، فقد شمل ديانات آسيا الصغرى، ومصر، وبابل، وفارس، وما يتاخمها، وامتاز أيضًا بطابع المقارنة بين معبودات الإغريق، ومعبودات غيرهم مقارنة تميل إلى تفضيل وجهة نظر المصريين، وإلى نقد الأخطاء التي كان يقع فيها عامتهم بسبب الاشتراك اللفظي حين يكون الاسم الواحد علمًا على إله أزلي، وعلى بطل من أبطال الشر.

ولقد كانت فتوح الإسكندر المقدوني سببًا في انفتاح مجال المعرفة لأديان أخرى، حيث وصلت جيوش الإسكندر إلى الهند، وإلى جانب هذه الدراسات الوصفية لمختلف الأديان المعروفة؛ إذ ذاك، قامت دراسات نقدية فلسفية تهدف إلى تمحيص حقيقة الدين بوجه عام في ثنايا البحث عن حقائق الأشياء.

العصر الروماني: في القرن الثاني قبل الميلاد أخضع الرومان بلاد الإغريق والبلاد الأسيوية والإفريقية، فكان هذا سببًا في نقل بعض مذاهبهم الدينية إلى روما، وكان وصف هذه الديانات الواغلة مضافة إلى الأديان المحلية مجالًا لأقلام الكتاب الرومان في القرن الأول قبل الميلاد، فكتب شيشرون عن الآراء الفلسفية في طبيعة الألوهية، وكتب فارون عن الشعائر، والعبادات الرومانية، لا بأسلوب النقد والموازنة والترجيح، بل بأسلوب التأويل والتوفيق، أو التلفيق بين الآراء المختلفة .

العصر المسيحي: وفي منتصف القرن الأول بعد الميلاد دخلت الدعوة المسيحية إلى أوربا في صورة دين سماوي جديد، يأبى أن ينتظم في سلك الأديان الوثنية السابقة، ويحاول أن يظهر عليها ويحل محلها، وكان ما كان من احتكاك وصراع، وتفاعل وامتزاج بينه وبين تلك الديانات المحلية، ثم بينه وبين المذاهب المستحدثة في عهده مثل: الديانة المانوية التي ظهرت في ق 3م، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة في ق 3م أيضًا.

وكان ما كان-أيضا- من اضطهادات، ومقاومات عنيفة شنَّها أباطرة الرومان على دُعاته وأتباعه، حتى جاء الإمبراطور قسطنطين أول القرن الرابع ميلادي فدعا في أول الأمر إلى المهادنة الدينية العامة، ثم أعلن المسيحية دينًا رسميًّا للدولة على الصورة التي وضعها المجمع المنعقد في "نيقية" سنة 325م، وقد كان أهم المدافعين عن المسيحية المعارضين للنحل الجديدة المنافسة لها، هو اسم القديس أوغسطين، وهو أسقف كان قد اعتنق المانوية قبل أن يعتنق المسيحية، وله عشرات المؤلفات أشهرها كتاب (المدينة الإلهية) وهو أهمها، وكتاب (الاعترافات)، وكتاب (اللطف) واستمر هذا الطابع الجدلي للعقائد هجومًا ودفاعًا لا بين المسيحية وغيرها فحسب، بل بين المذاهب المسيحية نفسها، فلم يكن هَمْ الكُتاب تصوير العقائد المختلفة كما هي، بل كان هدف كل كاتب التماس موطن من مواطن الضعف في عقيدة خصمه لإبطالها، وإبراز ناحية من نواحي القوة في عقيدته لنصرها ونشرها.

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين

لما جاء عصر التدوين في منتصف القرن 2 هـ/6م، وبدأ المسلمون يكتبون الفقه والتفسير والحديث، إذ ظهرت في الدوائر المعرفيّة والعلوم الإسلامية -منذ بداية القرن الثالث الهجريّ- كتابات علميّة ذات طابع كلاميّ، يهدف إلى دراسة أصول الأديان وطوائفها المختلفة من حيث معرفة تواريخ نشأتها ومعرفة أفكارها العقديّة والفكريّة .ويلاحظ توظيف علماء المسلمين ألفاظًا تضمنت الجهد المعرفيّ المقارن للدين دون ذكر لفظ المقارنة، ومن المشاهير الذين كتبوا في مقارنة الأديان:

- النوبختي المتوفى سنة 202 هـ ألف كتابه "**الآراء والديانات**"، ويعتبر الباحثون هذا الكتاب أول كتاب في علم مقارنة الأديان.
- المسعودي المتوفى سنة 346 هـ ألف كتابين في الديانات: الأول: "**المسائل والعلل في المذاهب والملل**"، الثاني: "**سر الحياة**" .
- أبو الريحان البيروني المتوفى سنة 425 هـ ألف كتابه "**تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**".
- أبو منصور البغدادي المتوفى سنة 429 هـ ألف كتابه "**الملل والنحل**" رد فيه على الملل والنحل مدافعًا عن الاسلام.
- ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة 456 هـ ألف كتابه "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**".
- الشهرستاني المتوفى سنة 458 هـ ألف كتابه "**الملل والنحل**".
- الغزالي المتوفى سنة 505 هـ ألف كتابه "**الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**".
- أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري المتوفى سنة 661 هـ ألف كتابه "**تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**".

- أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة 684 هـ ألف كتابه "**الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**".
- أحمد بن تيمية المتوفى سنة 628 هـ ألف كتابه "**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ".
- ابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751 هـ ألف كتابه "**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**".
- الشيخ عبد الله الترجمان ألف كتابه "**تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** ".
- الشيخ رحمت الله الهندي وكتابه "**إظهار الحق**".

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد وجدت ترجمة للتوراة والإنجيل قام بها أحمد بن عبد الله بن سلام بن خليفة، ربما كانت هناك ترجمات عربية أخرى لم تصل إلى علمنا، قام بها الذميون من اليهود والنصارى يستعينون بها في أداء عبادتهم والتفقه في دينهم. وفي عهد الخليفة المأمون عقدت مجالس للمناقشة في الأديان والمذاهب والفرق، وهذا إن دل فإنما يدل على تطور الدراسات في المقارنات بين الأديان، ولذلك يقول أحد الباحثين الغربيين: إن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى ذلك التسامح كان سببًا في أن يلحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم "مقارنة الأديان".

المرحلة الثالثة: مرحلة الظهور والاستمرار في الوجود

في هذه المرحلة تطور علم مقارنة الأديان تطورًا عظيمًا، وكثرت فيه الأبحاث والدراسات والمؤلفات وخاصة في القرن الثالث الهجري والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، حتى القرن التاسع تجد فيه كتاب "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" ألفه عبد الله الترجمان، وطبع في مطبعة التمدن في القاهرة سنة 1904م.

المرحلة الرابعة: مرحلة التراجع:

بعد قرون من النشاط والحركة تسرب الضعف إلى علم مقارنة الأديان، وأدى ذلك إلى اختفائه لعدة أسباب منها:

- ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب وبعدد من الأطباء والوزراء من غير المسلمين، فاستطاع هؤلاء بسبب نفوذهم أن يسكتوا أصوات المتحدثين والمؤلفين في علم مقارنة الأديان؛ لطعنه في عقائدهم المنحرفة، ولذا فقد ضعف هذا العلم.

- زحف الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي، وهؤلاء لا يعرفون تسامحًا دينيًّا ولا مجادلة بالحسنى، فقابلهم المسلمون بالقوة فخفت صوت المجادلات والمحاورات التي يتولد منها علم مقارنة الأديان تحت صليل السيوف.

- غلبة الاشتغال بالفقه على الحركة العلمية في هذه المرحلة، مما أدى إلى تراجع اهتمام العلماء ودراستهم لعلم مقارنة الأديان والمذاهب.

- تبني بعض المسلمين الاتجاه الذي كان سائدًا لدى أتباع الديانات الأخرى، وهو عدم إمكان المقارنة بين الأديان، حيث لا يعترفون بغير دينهم وبالتالي لا يعترفون بإمكان المقارنة، ودان بعض المسلمين بهذا الاتجاه وهاجموا علم مقارنة الأديان على اعتبار أن الإسلام لا يقارن بسواه، ونسي هؤلاء أن القرآن الكريم كما اتضح سابقًا هو الذي وضع جذور هذا العلم.

- عدم اهتمام الحكام في تلك العصور بالعلم والعلماء كما كان أسلافهم من قبل، كالخليفة هارون الرشيد والمأمون والمعز لدين الله الفاطمي وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين كانوا يكرمون العلماء.

المرحلة الخامسة: انتقال علم مقارنة الأديان إلى الغرب

وإذ كان المسلمون في عصور الضعف قد أهملوا علم مقارنة الأديان لسبب أو لآخر، فإن موقف النصارى من هذا العلم كان مختلفًا تمامًا، فقد اهتموا بهذا العلم وهذا الاهتمام يرجع إلى ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأن اللقاءات السلمية التي كانت بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس وصقلية عرفتهم بمقارنة الأديان، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم فراحوا يتعلمون ويحاولون الانتفاع به، ثم جاء عصر الاستعمار فقرر المبشرون والمنصرون أن الإنسان به نزعة دينية مهما كان ماديًّا أو تظاهر باللادينية، ثم إن معرفة الداعي لدين المدعو يساعد كثيرًا في التأثير عليه، وبناء على ذلك ازداد اهتمامهم بعلم مقارنة الأديان ليكون من وسائل التبشير أو التنصير ونشر المسيحية.

كما ظهر اهتمامهم بهذا العلم بصورة ملحوظة في أوائل القرن العشرين بوجود دراسات وأبحاث ودوائر معارف كاملة عن الأديان، وفتح أقسام لهذا العلم في جامعاتهم مثل القسم الخاص بهذا المجال في جامعة بنسلفانيا بأمريكا، ووزعت هذه الجامعة المنشورات للإعلان عن افتتاح هذا القسم مع ذكر ألوان التيسيرات التي تقدم للطلاب.

ومن المستشرقين الذين لهم نشاط بارز في علم مقارنة الأديان من يلي:

1- " البارون كارادي فو" الذي عقد موازنة بين ما كتبه كل من البيروني والمسعودي عن المسيحية، ورأى أن البيروني أكثر معرفة من المسعودي بالمسيحية.

2- سخاو" الذي ترجم كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" للإنجليزية وطبع سنة 1910م للمرة الثانية.

3- بروكلمان" و"فينان" لهما أعمال مشتركة في الموسوعة الإسلامية، كما أن "بروكلمان" له "تاريخ الأدب العربي" وهو مجلدات كثيرة.

4- آسين بلانيوس" نشر النص العربي لكتاب "الرد على اليهود" للرقيلي وكتاب "الرد على النصارى" لأبي القاسم القيسي مع ترجمته إلى الأسبانية في سنة 1909 ميلادية، وتوفي هذا المستشرق سنة 1944 م.

5- أرندونك" كاتب مادة ابن حزم في الموسوعات الإسلامية.

ومن دوائر المعارف في الأديان التي أصدرها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين ما يلي:

1- دائرة معارف الدين والأخلاق التي نشرها الدكتور "ستنجر" لأول مرة عام 1908م.

2- دائرة المعارف الألمانية عن الدين في الماضي والحاضر وقد ظهرت طبعتها الأولى عام 1914م، والطبعة الثانية ظهرت عام 1927 م.

3- دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين وقد ظهرت طبعتها الأولى سنة 1927م بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد ترجمت بعض أجزائها إلى اللغة العربية.

4- دائرة المعارف المختصرة عن الأديان التي نشرها الأستاذ "زينر" وهو أستاذ مقارنة الأديان بجامعة أكسفورد عام 1959م.

وهناك أعمال أخرى كثيرة في الأديان غير هذه الأعمال، لا شك أنهم قد نجحوا في أعمالهم واستطاعوا جذب انتباه المسلمين، وقد أفاد المسلمون من هذه الأعمال بلا شك.

4-3/ مناهج دراسة الأديان

1-4-3/ في الفكر الإسلامي

- منهج التاريخ والوصف

شغل تاريخ الأديان ووصفها مساحة واسعة في نظر المسلمين، ووضعوا لذلك أسسا وأصولا وقواعد منهجية غير مسبوقة، تميزت بالحياد والنزاهة، حيث أفرد علماء الإسلام هذا المنهج، ثم طبقوه بموضوعية ونزاهة على أديان العالم، فكان لهم شرف كتابة تاريخ الأديان في الفكر الإنساني كله، مثل الشهرستاني والبيروني من أكبر ممثلي هذا المنهج قديما؛ الأول في كتابه "**الملل والنحل**"، والثاني في كتابه "**تحقيق**

ما للهند من مقولة؛ مقبولة في العقل أو مرذولة". وقد يضاف إليهم الفاروقي وعرفان عبد الحميد فتاح حديثا، الفاروقي في كتابه **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، وعرفان في كتابه "**النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها"**، إضافة إلى أعمال محمد عبد الله دراز وأحمد شلبي وأبو زهرة ومحمد الشرقاوي وآخرين.

- منهج التحليل والمقارنة : لم تقف جهود علماء المسلمين عند المنهج التاريخي الوصفي لكنها تجاوزته إلى المنهج التحليلي المقارن، ولم تتخذ المقارنة صورة واحدة أو شكلا واحدا، وإنما اتسع مفهوم المقارنة لديهم وتمثل في صور متنوعة مثل:

- دراسة جانب أو أكثر من ديانتين ثم يقارن بينهما.
- دراسة ديانة واحدة دراسة عميقة ثم مقارنة تلك الدراسة بدراسة باحث آخر...
- دراسة مؤسسي الديانات والمقارنة بينهم.

ومن بين هؤلاء نجد أبو الحسن العامري في كتابه "**الإعلام بمناقب الإسلام".**

- المنهج التحليلي النقدي

اهتم المسلمون بالدراسة النقدية، حللوها تحليلا علميا دقيقا، من بين هؤلاء نجد دراسة ابن حزم الأندلسي لنص العهدين القديم والجديد للتوراة والتحليل النقدي لدعوى التثليث والصلب والقيامة في المسيحية، والتناسخ في أديان الهند والنسخ في اليهودية، وذلك في كتابه **"الفصل في الملل والأهواء والنحل".**

- منهج الحوار والرد والمجادلة :

كما عرف الفكر الإسلامي شكل المناظرات الحية التي كانت تتم في مجالس عامة أو خاصة بين علماء مسلمين وغير مسلمين من أصحاب الملل المختلفة وهناك مناظرات مدونة في رسائل أو في كتب.، مثل الغزالي في**الرد الجميل لألولهية عيسى بصريح الإنجيل**، وابن تيمية في **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.**

3-4-2/ في الفكر الغربي

- **المنهج الظاهراتي**: وصف الدين كما هو ظاهر في الأعمال اليومية وطريقة العبادة والطقوس الدينية في الأفراح والأتراح. ومن الذين انتهجوا هذا المنهج إمانوئيل كانط في مواقفه الفلسفية ورؤيته إلى الدين، وإدموند هوسرل في كتابه "تاريخ الدين The History of Religion، وجيرالدوس فان دير ليو في كتابه "الدين في الجوهر والمظهر Religion In Essence And Manifestation، ونينيان سمرت في كتابه "ظاهرة الدين The Phenomenon of Religion.

- **المنهج الفلسفي**: ومن منتهجيها نينيان سمرت في كتابه "فلسفات العالم world philosophies، وإيريك شارب في كتابه "فهم الدين understanding Religion".

- **المنهج الأنثربولوجي أو علم الاجتماع الديني**: ويذكر من علمائها سير إدوارد بيرنت تايلور في كتابه "الثقافة البدائية Primitive Culture، وسير جيمس فريزر في كتابه "الغصن الذهبي The Golden Bough، و إيمانويل دوركايم في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية The Elementarsitey Forms of The Religious Life، ومنهم كليفورد غريتز في كتابه "تفسير الثقافات The Interpretation of Cultures.

- **المنهج الاجتماعي**، وهو قرين الصلة بالمنهج الإنثربولوجي من حيث النظر إلى الدين كعامل أوجده المجتمع، إلا أن ضرورة تطور الدين من البدائية إلى التقدم ليس شرطا في المنهج الاجتماعي. لذا يذكر من علماء هذا المنهج من ذكر هناك، إضافة إلى نظرية كارل ماكس،

وماكس ويبر في"الأخلاق البروتيستانتية وروح الرأسمالية The Protestant Ethic And The Spirit Of Capitalism، وكتابه الآخر "دين الهند The Religion of India".

- **المنهج النفسي**، ومن رواد هذا المنهج سيجموند فرويد في كتابه "الطوطم والحرام Totem And Taboo، وكتابه الآخر "مستقبل وهم The Future of An Illusion، ومن أوائل رواد هذا المنهج وليام جيمس في كتابه"الاختلافات في التجارب الدينية The Varities of Religious Experience.

4/ **الدين لدى الشعوب البدائية فيما قبل التاريخ**

معبودات الإنسان خلال العصر الحجري القديم

إن صناعة الأدوات الحجرية واكتشاف النار واستعمالها يعدان من أهم انجازات العصر الحجري القديم الأسفل على المستويين المادي والروحي، وقد انعكسا على تطور وعي الإنسان ونشطا إمكاناته الروحية، فالنار بما تنطوي من قدرة على جعل الإنسان يتأمل صفاتها وآثارها وشكلها، انعكست إيجابا على القوة الروحية للإنسان وهيأتها لمرحلة قادمة، ونظرا لاستخدامات النار المتعددة، فقد كانت عاملا نوعيا حرك في الإنسان قواه الدينية المميزة لهذا العصر، وإن فكرة الدين تستند إلى جوهر واحد هو "وجود المقدس"، لأنها –النار- تحمل نمطا خاصا يختلف عن بقية ما يراه الإنسان من عالمه، فهي تشكل إشارة للخوف والرهبة والدهشة والجمال والمنفعة ولم يكن يراها عن بعد فحسب، بل يستعملها ويقترب منها.

وبعد أن حركت النار النوازع الدينية الأولى للإنسان المنتصب باعتبارها المقدس الأول انفتحت أحاسيس الإنسان –نياندرتال- ومشاعره باتجاه تشكل ديني أعلى، فاصطاد الإنسان الحيوانات المختلفة ثم استأنسها وبعدها قام بعبادة بعضها الآخر، فقد احتفظت لنا مغارات جبال الألب عدد من جماجم لدببة مرتبة بطريقة خاصة، أحيط بعضها بحجارة صغيرة وبعضها الآخر بألواح محجرة، ولا يقتصر التقديس على الدببة فحسب بل هناك الجاموس والثور والماموث وغيرها، فقد عثر في كاتال هويك بالأناظول على رؤوس أبقار مرصوفة بشكل فريد داخل الهيكل تعود لحوالي 100 ألف سنة ق.م.

تزداد الأدلة مع الزمن على أن النياندرتال هو الذي ابتكر المدافن والقبور، وهذا دليل آخر من أدلة ظهور الدين لدى هذا الإنسان، رغم أن بعض الباحثين يعزون هذا الأمر إلى وعي اجتماعي أكثر منه ديني، والحقيقة أم مدافن النياندرتال هي واحدة من أهم علامات تطوره الديني[16]، فإن كنا نرى أن الدين مكون من "العقيدة، الطقس، الأسطورة" فلا شك أن طقوس الدفن الشعائرية كانت بداية ظهور الطقوس المرافقة للعقيدة الدينية، بل ربما كانت امتدادا لها أو تفسيرا لها حيث أن الإنسان كان يدفن حيوانه المقدس، وبدأ يرى في نفسه، وفي جسده الذي فيه من هذا المقدس ضرورة أن لا يترك في العراء بعد الموت، وربما كان هذا الإجراء بذرة لنشوء عقائد ما بعد الموت واعتقاد الإنسان بوجود حياة أخرى لجسده أو روحه أو لهما معا، وإن ظهور المدافن وطبيعة محتوياتها تفتح المجال لهذا المعتقد، فقد دفن الإنسان ومعه مقدسه –الحيوان- لكي يحميه بعد الموت أيضا، ولكي يكون بجانبه، فقد وجد في بعض القبور بقايا عظمية لإنسان نياندرتال مع عظام حيوانية وكذا رماد دلالة على دفن النار معهما، وفي بعض الحالات دفن وقرب يده مقبض فأس حجرية، وفي مرحلته العليا أرفقت جثة المتوفى بالمحار البحري والصبغة الحمراء[17].

[16] E Anati, La Religion des Origines ,Trad, Patrek Michel, Bayard Edition, Paris, 1999, P51.

[17] خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص ص 50-55.

هذا وطور إنسان العصر الحجري القديم الأعلى من معبوداته في شكل فن ديني، تمثل في رسومات على جدران الكهوف والمغارات، وتتمثل هذه الرسومات في أشكال حيوانية وأنثوية، ويرى غالبية الباحثين أن هذه الكهوف ما هي إلا معابد للإنسان الباليوليني[18]، حيث وضع على جدرانها بكل تبتل وعناية روحية ما كان يضفي عليه صفة التقديس الحيواني، ويقول فراس السواح :"**إن الإنسان الباليوليني الأعلى في هذه البقاع القصية المظلمة، يبحث عن التواصل مع العالم الآخر، مع عالم اللاهوت، من خلال شارات قدسية تربط بين العالمين، وكما فعل إنسان الباليوليت الأوسط، فقد اختار إنسان الباليوليت الأعلى شارته المقدسة من العالم الحيواني، لا ليعبدها بذاتها، بل ليستحضر من خلالها قوة العالم الموازي، وتحولت كهوف الدب المتواضعة التي اتخذها النياندرتال مقامات مقدسة، إلى كاتدرائيات نحتتها الطبيعة في الأعماق، وأقام فيها الإنسان العاقل نقاط تواصل مع المجال الآخر، من خلال هيئات حيوانية تلخصت بشكل رئيسي في الثور والبيسون والحصان**"[19]، بالإضافة إلى ذلك تم العثور على دمى أنثوية والتي تعتبر محل عبادة وتقديس، ومنها ما يعرف بالإلهة الأم أو سيدة الماموث والتي تكون في المركز محاطة بالرموز الذكورية على اللوحات الجدارية.

نلاحظ أن أهم خصائص المكونة للدين خلال العصر الجدري القديم قد تمثلت أساسا في النار، الحيوان المقدس، المدفن، الكهف، المعبد الكهفي، تعاويذ المحار، الصبغة الحمراء، الرسوم، الدمى الأنثوية.

معبودات الإنسان خلال العصر الحجري الوسيط

لا نستبعد أن معتقدات عبادة الطبيعة وظواهرها كالشمس والقمر والنجوم والبرق والمطر قد وجدت في العصر الحجري الأوسط، ولكنها لم ترتفع عن العبادة المباشرة لهذه الظواهر دون أن ترتقي إلى مفهوم الألوهية، وكنتيجة للعبادات السابقة ظهرت عبادة الأجداد والتي نتجت عن التقديس والاحترام المبالغ لأجداد القبيلة الأوائل ويأخذ هذا التقديس شكلا صلبا كلما تقادم الوقت بسبب ازدياد التهويل والمبالغات والأساطير عن هؤلاء الأجداد ورغبة القبيلة في التماسك حول مركز روحي لها، وبالمقابل زاد في هذا العصر دور الممارسات السحرية للمرأة استمرار لبدء اكتشاف قواها الأنثوية التكاثرية التي شهدها العصر الباليوليتي، بعد أن كان السحر حكرا على الرجل.

وفي هذا العصر انتشرت المقابر الميغاليتية التي اعتبرها البعض كأماكن للعبادة وطرق لدفن الموتى وما يقترن ذلك بالتضحية والقرابين الحيوانية والبشرية.

معبودات الإنسان خلال العصر الحجري الحديث

استمر تقديس الحيوان وعبادته، ورغم أن الانقلاب الزراعي الذي حدث خلال هذا العصر قد أظهر ميلا واضحا لتقديس وعبادة النباتات وعناصر الخصب النباتي، إلا أن هذا لم يلغ عبادة وتقديس الحيوان، وقد ظهرت أكثر صور هذا التقديس متجلية في المنحوتات الطينية والفخارية للحيوانات المختلفة مثل الماعز، الأبقار، الخرفان، الكلب، حيث عثر على تماثيل ورسوم صخرية لأبقار تدل على عبادتها في الصحراء الجزائرية وهي توحي بوجود فكر ديني سحري روحاني[20].

فضلا عن ما يعرف بعبادة الجماجم، وهو أهم مظهر ديني في مرحلة ما قبل الفخار النيوليتي وهي جماجم محشوة من الداخل بالطين ومطلية الوجه بالجص، ومطعمة العيون بالأصداف، فسرها البعض بأنها شكل من طقوس إبقاء ذكرى الأفراد بعد الموت، وحسب البعض الآخر فهي من باب عبادة الجماجم لأن الرأس مقر الروح، أو وعاء القوة المقدسة، أو أنها أوعية لقوة مقدسة غير محدودة، ويرى فراس السواح أن:"

---

[18] كورهان آرليت لوروا، إنسان نياندرتال في كهف شانيدر، تر. جميل حمودي، مجلة سومر، مج. 25، 1969، ص ص 274-275.

[19] فراس السواح، دين الإنسان، المرجع السابق، ص 150.

[20] Camps H Faber, Fegurations Animales Dans L'art Mobilier Préhistorique d'Afrique Du Nord, Libyca, Vol. IX-X, 101-103, 1962, p 260

ظهور التشخيص في مثل هذه الجماجم، ومحاولة الإنسان تشكيل ملامح وجه إنساني هو بدء ظهور فكرة الإله، حيث دخل الفكر الديني مرحلة التشخيص وأخذ الإنسان ينظر إلى القوة من خلال تمثيلات مشخصة وشيئا فشيئا تحولت القوة إلى تشخيصات ذات قوة، وتكسر مبدأ القوة السارية إلى عدد من القوى وظهرت الآلهة".

وفي النيوليتي تطورت عبادة الآلهة الأم، حيث شبهت الأرض بالمرأة البدينة كإلهة ثم قام بعد ذلك بمحاكاة هذه الإلهة فأصبحت المرأة زعيمة القوم، وكانت صفاتها بالضرورة القوة والخصب والصحة، لأنها تناظر الإلهة الأم، وظهرت طقوس العبادة التي تحاكيها أيضا، وبالتالي رأى الإنسان أن المقدس أو القوة العظمى للوجود يكمن في صفات الإخصاب والولادة التي هي من خصائص المرأة، ثن حاكى هذه القوة العظمى بالأنثى ذات الطبيعة الإلهية، ثم شكل ما يعرف بالإله الذكر وتمركزه فيما بعد خلق تعدد الآلهة .

أما بالنسبة لطرق الدفن فقد تطورت أيضا خلال النيوليتي، حيث عثر على نماذج كثيرة لمثل هذه الطقوس في إفريقيا الشمالية، ففي موقع كوليمناطة ثبت استخدام الصبغة الحمراء والبيضاء للجثث، ويقدم لنا موقع تين هناكتن دلائل واضحة على ممارسات ذات طابع ديني، أين دفن 6 أشخاص وفق ممارسات جنائزية مميزة، وفي موقع منخور –إليزي- عثر على وضعيات دفن جنينية، مطلية بصلصال أبيض[21]، فضلا على هياكل عظمية لأبقار دفنت وفق طقوس معينة، وفي موقع تازروق بالهقار عثر على حجارة مجمعة مع اهداءات وأدوات مع رأس ثور.

المحاضرة الثالثة: الأساطير الدينية والمعتقدات القديمة

اكتنف مصطلح الأسطورة عند العامة من الناس حجم وافر من الغموض، مما يجعله يلقى مصيرا من الضبابية والتداخل مع مصطلحات أخرى، وصار من الطبيعي عزوف الناس عن ذكر الأساطير أو الرجوع إليها، ناهيك عن نسبة الاعتماد عليها وتوظيفها.

حينما نحاول تعريف الأسطورة لا نستطيع التوصل إلى تعريف مرض، قبل أن يكون قد قطعنا شوطا واسعا في تقصي ظاهرتنا، لأن التعريف الذي لا يأتي بنتيجة متعمقة ومتأنية سوف يعكس أهواء الباحث ومواقفه المسبقة وإسقاطاته الخاصة، عوضا أن يكون مرشدا موضوعيا له، وبالتالي نجد أنفسنا في مأزق فعلي يتعلق بالمنهج، فها هو القديس أوغسطين يقول في ماهية الأسطورة :" إنني أعرفها جيدا، بشرط أن لا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلت، وأردت الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ".

لا شك أن الأساطير موجودة في جميع الأديان الأسيوية والمتوسطية، لكن من الأفضل أن نباشر الأسطورة من الميثولوجيا الإغريقية أو الهندية، ذلك أن أكثرية الأساطير الإغريقية قد قام "هيزيود" و"هوميروس" والمنشدون ونساخ الأساطير بروايتها وبالتالي تعديلها وتفصيلها وتبويبها، أما المأثورات الميثولوجية في الشرق الأدنى فقد جرى تفسيرها مرارا وتكرارا، وبذل أهل اللاهوت وخدام الطقوس عناية فائقة في صوغها صياغة بلغت حد الكمال، إلا أن هذا لا يعني أن الأساطير العظمى قد فقدت حقيقتها الميطيقية، ولم تعد سوى أدبا من الآداب، أو أن المأثورات الميطيقية في المجتمعات التقليدية قد حافظت على طابعها الصلي، ولم يحرفها الكهان ولا الشعراء، فالميثولوجيا البدائية شأنها في هذا شان الميثولوجيات العظمى التي آلت إلى النقل بواسطة الكتابة، هذه الميثولوجيات البدائية التي عرفها الرحالة والمبعوثون الأوائل في المرحلة الشفوية هي ميثولوجيات ذات تاريخ، وبعبارة أخرى دخلها التغيير والتحوير وازدادت غنى على مر العصور تحت تأثير ثقافات أخرى عالية، أو بفضل عبقريات خلاقة توفرت لأفراد معينين يتمتعون بمواهب استثنائية.

[21] lionel balout, l'Algérie préhistorique, editions A M G, 1958, paris, p 96.

يعرف العلم الذي يدرس الأساطير بالميثولوجيا Mythology، ويتكون من مقطعين: myth وهو مشتق من الجذر اليوناني Mythas ويعني القصة أو الحكاية، أو Mythos ويعني قصة غير واقعية، أما المقطع الثاني logy فيعني العلم أو الدراسة العلمية، وهو مشتق من الجذر Logos الذي يشير في الفلسفة إلى المبدأ العقلي، وبهذا تكون الميثولوجيا هي الدراسة العلمية للأساطير وفحصها وفق القواعد العلمية المتبعة.

1/ تعريف الأسطورة

أ/ المعنى اللغوي: إن مصطلح الأسطورة له جذوره اللغوية ومعانيه في اللغة العربية.

ففي **لسان العرب** باب السين:

- سطر : السطر، الصف من الكتاب، أو الشجر ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير.
- والسطر : الخط والكتابة، قال تعالى :"**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**" (الفرقان 5)، ومعناه سطره الأولون، وعند ابن كثير أساطير الأولين: كتب الأولين.
- وسطر علينا :جاءنا بالأساطير، يقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها.
- وجاء في **معجم الصحاح** باب السين مثل ذلك، أضاف عليه الأساطير هي الأباطيل.
- وفي **القاموس الجديد** الأسطورة هي الحكاية التي لا أصل لها واقعي.

وكلمة Myth السابقة الذكر والمستخدمة في اللغات الأجنبية فتعني "حكاية شعبية أو أدبية تضم كائنات خارقة وإجراءات خيالية التي تنقل الأحداث التاريخية"[22]، وكان أفلاطون أفلاطون أول من استعمل تعبير Muthology بمعنى "القول عن "أو" الأخبار عن "أو بمعنى "القصص"، أما أول من ميز بين الأسطورة والتاريخ فهو "هيكاتوس الميللي"، ثم جاء هوميروس الذي يرى أن الأساطير هو تاريخ مشوش مقنع، "فالآلهة كانت في البداية رجالا، ومن مرور الزمن وبعد فترات من التمادي في الخيال اكتسب هؤلاء الرجال عظمة وإجلالا وتغيرت أشكلهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة".

ب/ المعنى الاصطلاحي

في مجال الأسطورة، وهي ظاهرة من أهم ظواهر الثقافة الإنسانية، يمكن للباحث أن يبتدئ من التعريف المبدئي التالي فيقول" :**إن الأسطورة هي حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية** "[23]. غير أن هذا التعريف سوف يطلعنا على العديد من الأجناس الأدبية التي ينطبق عليها هذا المفهوم والتي نستبعدها من دائرة الأسطورة تدريجياً وذلك لعدم صلتها بها رغم مشابهتها لها من حيث الشكل، فنتعرف على الخرافة وعلى القصص البطولي والملحمة وعلى الحكاية الشعبية وغيرها، ومن هنا ندرج عدة تعاريف للأسطورة حسب علم الاجتماع، الفلاسفة، المؤرخين، الأنتروبولوجيين ...الخ

جاء في قاموس علم الاجتماع أن الأسطورة هي :" تفسير أو قصة رمزية تروي حادثة غريبة، أو خارقة للطبيعة، توجد في ثقافة فرعية، وتتميز الأسطورة بتناقلها، وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة، وفلسفة وإثارة وإلهام"[24]، ولكن نلاحظ أن هذا التعريف لا يختلف عن مفهوم الملحمة والحكاية الشعبية والخرافة؟؟.

[22] Petit Larousse en Couleurs, Libraire Larousse, 1980, P 614.

[23] فراس السواح، الأسطورة، الوظيفة والمعنى، ص 2.

[24] محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرف الجامعية، ص 296.

يعرفها برونوسلاف مالينوفسكي بأنها:" **ليست الأسطورة تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، تطلعات أخلاقية وواجبات، وأوامر على المستوى الاجتماعي، بل وحتى متطلبات عملية في الحضارات البدائية، تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها، تفسر وتبرر وتقنن المعتقدات، تدافع عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان**"[25].

فإذا كان مالينوفسكي يعرفها من الجانب الوظيفي فإن مارسيا إلياد يرى بأنها أحداثا تاريخية حدثت في الزمن السحيق، ويقول :"**فالأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات؛ فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر إجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من النبات، أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة**"[26]. وبالتالي فالأسطورة حسب مارسيا فلا تزيد الأسطورة عن كونها حكاية خلق تروي لنا كيف كان إنتاج شيء ما وكيف كانت بدايته أما أشخاصها فهم كائنات عليا (آلهة)، من هنا تأتي أهمية ميثولوجيا التكوين في أديان الشعوب وعلو شأن أسطورة الخلق في النظم الميثولوجية، ففي أسطورة التكوين التوراتية الصفحة الأولى من كتب العهد القديم نقرأ :" **ففي البدء خلق السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية على وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف فوق وجه المياه**"[27].

وكانت الأسطورة بمثابة جواب عن السؤال كيف خلق ذلك الشيء؟ وبالأسطورة أيضا "**يمكن التعرف على أصل الأشياء ليتمكن الطقس الديني من إعادة تكراره، ذلك أن الطقس يقوم بإعادة تكرار حدوث الخلق الذي يمكن الإنسان من الاتصال بالآلهة وبزمن الخلق الأول**"[28].

وفي المقابل نجد ماريت يرى أن "**الأسطورة ليست بحثا عن الأسباب وإنما هي كفالة للدين وضمان وليست غايتها أن ترضي الفضول بل أن تؤكد الإيمان**"[29]. فالأسطورة وسيلة توضح الإيمان وتقويه، وهي تضمن فعالية الطقس الذي تعيش فيه من جديد باعتبار أن الأسطورة هي الجزء المحكي من الطقس. أما ماكس موللر :" **تصوير فترة من الجنون كان على العقل البشري أن يجتازها**"[30]، ويلخص فراس السواح هذه الآراء في قوله:"**الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان**".

2/ **<u>شروط "معايير" النص الأسطوري</u>**

- من حيث الشكل، الأسطورة هي قصة، وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات وما إليها، وغالبًا ما تجري صياغتها في قالب شعري يساعد على ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة، كما يزودها بسلطان على العواطف والقلوب.

- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقله الأجيال مادام محافظاً على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، فالأساطير السومرية حافظت على ثباتها لمدة ألفي سنة "من الألف الثالث ق.م حتى الألف الأولى ق.م"، غير أن خاصية الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر لأن الفكر الأسطوري يجدد أساطيره ويتخلى أحيانا عن تلك الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية أو في تعديلها.

---

[25] محمد الخطيب ، الإثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، ص 194.

[26] مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، 1987، ص 10-11.

[27] فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين للطباعة والنشر والترجمة، ص 60.

[28] عمر محمد صبحي عبد الحي الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 35.

[29] إ. أجيمس، الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم، ترجمة يوسف شلب الشام، ط1، دار التوحيدي للنشر، 1998، ص 21.

[30] أحمد كمال زكي، الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 41.

- لا يُعرف للأسطورة مؤلّف معين لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها وخلاصة ثقافتها، ولا يمنع هذا الطابع الجمعي أن يقوم الأفراد بإعادة صياغة الحكايات الأسطورية، وفق صيغة أدبية تتماشى وروح عصرهم، لذلك لا تعتبر محاورات أفلاطون أساطير، وان أطلق عليها هذا المصطلح لأنها لا تعبر عن تجربة جمعية مشتركة.

- يلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة؛ فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا لا رئيسيا.

- تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية فهي تدور حول المسائل الكبرى التي تعن دوما على عقل الإنسان مثل :الخلق والتكوين، وأصول الأشياء والموت والعالم.

- ليس للأسطورة زمن، أي لأنها لا تتناول حدث جرى في الماضي وانتهى، بل عن حدث ذي حضور دائم، فزمانها والحالة هذه زمن ماثل أبدا لا يتحول إلى ماض، والأحداث التي تقصها الأسطورة هي أحداث حقيقية، يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع، فالإله تموز (إله الخصوبة) الذي قتل ثم بُعث إلى الحياة، إنما يفعل ذلك في كل عام، إذ يقتل (في الصيف) فيكون الجفاف ويبعث في الربيع فتصبح الأرض مخضرة، وهذا يتجدد في كل عام، والإله مردوخ (إله بابل) الذي خلق الكون ونظمه في الأزمنة المقدسة الأولى إنما يفعل ذلك في كل عام ومع بداية السنة الجديدة، حيث يقوم بإعادة خلق الكون وتجديده وعندما لا يكون للحدث الأسطوري هذا الطابع الدوري المتكرر الواضح، فإن مضمون الأسطورة يعبر عن حقيقة أزلية متخللة في حياة البشر، لا يطالها تغيير، فأسطورة خلق الإنسان من تربة الأرض ممزوجة بدم إله قتيل هي تأسيس لفكرة الطبيعة المزدوجة للإنسان وتكوينه من عنصر مادي وآخر روحاني.

- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار هذا النظام الديني، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة.

- تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.

3/ أنماط الأسطورة: للأسطورة أربع أنماط هي:

- **الأسطورة الطقوسية**: وهي ترتبط أساسا بعملية العبادة والطقوس

- **الأسطورة التعليلية**: وهي ترتبط بفكرة وجود كائنات روحية خفية في مقابل ما هو كائن من ظواهر طبيعية كالرعد، البراكين، الزلازل، ويمكن استمالتها عن طريق القرابين.

- **الأسطورة الرمزية**: وهي التي تعبر بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية.

- **الأسطورة التاريخسطورية**: وهي تاريخ وخرافة معا، بمعنى أنها تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق تأخذ إطار حكاية، ويشير البعض إلى وجود علاقة ثنائية بين الأسطورة والتاريخ، تسمح ببعض الخيال في الوصف التاريخي، كما تسمح ببعض الواقعية في الوصف الأسطوري.

المحاضرة الرابعة: الديانات الوثنية في الشرق الأدنى القديم

الديانة في بلاد الرافدين

تقدم لنا الحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم فرصة فريدة لدراسة نشأة الدين وتطوره في منطقة ذات أجناس وثقافات مختلطة ظهرت فيها فيما بعد ديانات التوحيد الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام التي تدين جميعها ببعض مظاهر الدين للمراحل المبكرة في الفكر الديني ببلاد ما بين النهرين موطن السوريين، والبابليين، والآشوريين. ولقد كشف علماء الآثار عن بقايا أقدم المستوطنات القروية (جيرمو Jarmoفي العراق، كاتل هييوك Catal Huyuk في تركيا، وأريحا في فلسطين) التي كانت موجودة بالفعل في الألف السابع أو السادس قبل الميلاد، وفي الألف الرابع تعلمت مجموعات كبيرة من الناس في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق الحديث) التحكم في مياه نهر دجلة والفرات، وري السهول المحيطة بهما، وهذا التحكم في البيئة مكن المدن من الاستقرار على ضفاف الأنهار والقنوات الرئيسية.

فمنذ عصر ما قبل التاريخ وهؤلاء الناس على وعي بالقوى الروحية التي يعتمد عليها وجودهم، وتشهد على ذلك بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين والتماثيل الرمزية لصغيرة، وتماثيل الآلهة وعادات الدفن، ومع ظهور الكتابة التي وجدت أولا في أورك Urukأو آرك Erech، حوالي سنة 3000 ق.م، ظهر مصدر جديد من الشواهد التي زودتنا بما يقرب من نصف مليون وثيقة مكتوبة على الطين، وكذلك بألواح الكتابة التي استخدمت العلامات المسمارية مما جعل من الممكن تتبع تطورهم الفكري حتى وصول الغزاة من الفرس والإغريق إلى هذه المناطق.

أولا/ ظاهرة الدين في بلاد الرافدين

لقد طور السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومريين الأوائل فحسب، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والآشوريين والحيثيين، والعيلاميين، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداتهم الأساسية وكان تصورهم الرئيسي، في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلى العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعة .

والعناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عند السومرين هي السماء "**آن** an" والأرض "**كي** ki" وتبدوا الإلهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوي "**ليل** Lil" أو الروح. وهم يعتقدون أن البحر الذي كان في البدء هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب، والنجوم وكل يتحرك في طريقه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية.

أما الكائنات التي تعلو على الإنسان والموجودات غير المنظورة التي تتحكم في الكون الكبير وتتجسد فيه فكانت بالضرورة توصف بصفات بشرية من ذلك أنها كالرجال والنساء لها انفعالاتها الطاغية وجوانب ضعفها كما أنها تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب أطفالا وتقتني خدما ومنازل، لكنها على خلاف البشر خالدة "فالآلهة عندما خَلَقت البشر احتفظت لهم بالموت، وأبقت الحياة في يدها".

ولقد اعتقد السومريون، وفقا لما تقوله عقيدتهم الدينية -وقد بقى قائما في نصوص مفصلة منذ فجر العصر البابلي القديم حوالي 1900 ق.م- أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد وفقا للخطة التي وضعها الإله الذي خلقه، وهي تسمى "مه me" بالسومرية، وهناك قائمة "مه" وتشمل (السيادة، الألوهية، التاج، العرش، الملك، الكهانة، الحقيقة، الهبوط إلى العالم السفلي والصعود منه، الفيضان، الأسلحة، المعاشرة الجنسية، القانون، الغنى، الموسيقى، القوة، العدوان، الأمانة، تدمير المدن الصناعات

المعدنية، الكتابة، الصناعات الجلدية، البناء، الحكمة، الخوف، الرعب، الصراع، السلام، الضجر، الانتصار، القلب المضطرب، الحكم، القضاء)، غير أن هذه التناقضات الظاهرة في تعدد الآلهة Polythéisme لم يكن يثير قلقا عند رجال الدين السومريين، وعندما حل عصر "فاره Fara"حوالي 2500 ق.م وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة، وصنفوا كلا منها على أنه إله، وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم. ولكل إله أو آلهة خاصية مميزة ومناطق مسؤولية محددة، رغم أن كثيرا منها آلهة ثانوية، لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إله قوي بوصفها زوجات أو أبناء، أو موظفين أو خدما.

كانت الآلهة في العراق القديم ترجع من جهة أصلها –كالآلهة المصرية- إلى قوة الطبيعة، حيث عبد سكان بلاد الرافدين أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثر قوي على حياتهم، وشخصوها على هيئة آلهة، وبقيت صفة الظواهر الطبيعية بارزة في آلهة العراق، وحتى بعد أن تطورت وابتعدت عن نشأتها الأولى، وقد أرجع الباحثون القوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة العراقية إلى ثلاثة مصادر هي:

- **القوى المستمدة من السماء**: كانت السماء على رأس الظواهر الطبيعية، فالسماء والأرض تؤلفان الكون، كما يشير إلى ذلك اسم الكون بالسومرية "آن-كي"، فكان الإله "آنو" الممثل للسماء على رأس الآلهة البابلية ويمثل أصل السلطة في الكون.

- **القوى المستمدة من الجو والهواء**: وكان يمثل هذه القوى الإله "إنليل"، وهو يمثل القوى المنقذة، لذا يأتي بعد الإله "أنو" في الدرجة والمكانة لأن الأخير يمثل مصدر السلطة.

- **القوى المستمدة من الأرض**: وقد شخصت بآلهة متعددة، فالأرض عدا أنها مصدر الخصب والإنبات فإنها مصدر الماء، فكان الماء عنصرا مهما من قوى الطبيعة التي جسمت على هيئة آلهة، وقد عُدَ "كي" بمعنى سيد الأرض، ووصف بالحكمة والدهاء، وقوة الخلق، وهذه الصفات شعر بها الإنسان القديم من خلال ممارساته للزراعة والسقي في يومياته.

لقد رأى الإنسان في بلاد الرافدين في ظواهر الطبيعة منذ أقدم الأزمنة تجسيدا لقوى عليا فوق البشر، وهي الآلهة المختلفة التي التمس عونها وحمايتها وتصور تلك الآلهة على هيئة البشر، لها صفات البشر المادية والروحية مما يعرف بمبدأ "التشبيه"، الذي اتسم به المعتقد العراقي القديم، فالآلهة كانت في نظرهم آنذاك تشبه البشر في كل شيء باستثناء تسامى الآلهة وتفوقها، وسيطرتها المطلقة على البشر، فضلا عن أنها تميزت عن البشر بميزة فارقة ومهمة وهي "الخلود"، فهي لا تموت بعكس الإنسان الذي قُرِن به الموت منذ أن خلقته الآلهة.
لذا مثلت الآلهة في المشاهد الفنية بهيئة بشرية في شكلها المادي، ولأجل تميزها عن البشر صورت بصورة تختلف عنها بالغ النحاتون في إبراز حجم العينين والأذنين فيها للدلالة على بعد النظر والحكمة، ووضعت التيجان المقرنة على رؤوسها والقلنسوة ذات الطيات الخاصة بالآلهة، وقد مثلت بشكل عام بحجم أكبر من حجم التماثيل الأخرى الخاصة بالحكام والملوك.
فضلا عن ذلك فقد تصور الأقدمون أن هذه الملامح غير كافية لإظهار شكل كل إله بصورة كاملة، فضلا عن عدم قدرة هذه الأشكال عن التعبير عن كل الوظائف الإلهية وأعمالها وصفاتها، ومن أجل ذلك جعلوا لكل إله عددا كم الرموز لتعكس مهامه.

ثانيا / أهم الآلهة في بلاد الرافدين:

1/ الإله "آن –آنو": أطلق على اسم هذا الإله باللغة السومرية "an" أي السماء كما سمي باللغة الأكادية "Anu" ويعني السماء أيضا، فضلا عن أن هذه التسمية كانت تعبر عن معنى اللمعان والشروق في بعض النصوص السومرية.

وقد عد العراقيون القدامى الإله أن إبنا للإله إنسار Ansar وكيشار Kisar اللذين ورد ذكرهما في قائمة الآلهة المسماة "An-Anum"، وفي قصة الخليقة البابلية، وعدت الأرض زوجة الإله "أنو" وأطلق عليها بالسومرية "Uras" التي عرفت فيما بعد باسم "Ki" في السومرية، وفي اللغة الأكدية سميت "Antu".

2/ إنليل Enlil: يتكون من الاسم من مقطعين، الأول هو "En" ويعني السيد، والثاني "lil"، ويعني سيد الغلاف الجوي والرياح والهواء، وإنليل هو المحسن، والجد الأول الذي يعزى إليه خلق الشمس، والقمر، والنباتات والأدوات الضرورية التي يسيطر الإنسان بواسطتها على الأرض. وتقول بعض النصوص الدينية إن إنليل هو ابن آنو Anu رغم أنه في نصوص أخرى من نسل أول زوجين إلهين وهما أنكى Enki ونينكي - Nin kiسيد الأرض وسيدتها-.

وعلى الرغم من أن إنليل يرتبط بمدينة نيبور فإنه يعد الإله الأسمى لكل سومر. وهو يمسك بالألواح التي سُطِرت فيها أقدار البشر جميعا ولقد ظلت مدينة نيبور مدينة مقدسة ومركزا للحج طوال التاريخ، رغم أن الإله مردوخ Marduk استولى في أواسط الألف الثانية على مكانة انليل ووظيفته داخل بابل، وفي آشور كانت بينليل Ninlil زوجة انليل ورفيقته في ذلك الوقت، متحدة مع الإلهة العظمى إنين Innin السومرية التي تسمى إينانا Inanna سيدة السماء وهي عشتار عند البابليين، وحسب الأساطير فالإله يحكم ما بين السماء والأرض، فأطلق عليه "أبو الآلهة"، "ملك الآلهة"، "سيد الأقطار والبلدان".

3/ الاله "إنكي" أو "أيا": كلمة "Enki" مركبة من كلمتين "En" وتعني بالسومرية السيد، و"Ki" والتي تعني الأرض، أي سيد الأرض، أما كلمة "Ea" فأصلها E .A وتعني بيت الماء.

وتشير النصوص ذات العلاقة أن نسب الإله أنكي/أيا ينحدر من الإله "أنو"، كما تشير بعض النصوص إلى أنه ينسب إلى الآلهة "نمو Nammu"، وعُدَ الإله "أنكي/أيا" الأخ التوأم للإله "أدد Adad"، وكانت زوجته تدعى "ننكي"، ويطلق عليها بالنصوص تسمية الإلهة "ننخرساك" أحيانا، أو الإلهة "دامكينا" أحيانا أخرى، ومن ذريته الإله "مردوخ" والإلهة "نانشة"، أما وزيره كان الإله "إيسمود" ذو الوجهين.

هذا ويسمى الإله آنكي سيد الأرض، لأن الأرض هي مصدر الأنهار والينابيع والآبار وهي التي تمثل المياه العذبة، وضمن هذا السياق فإن تأملات الإنسان الفكرية قديما ربطت عنصر المياه بعملية الخلق الفكري (الإبداع) أو المعرفة والحكمة، كذلك نسب للإله "أنكي/أيا" صفة معلم الإنسان عناصر الحضارة كافة إذ أوجد الصفات اليدوية وفن الكتابة، فهو مخترع المحراث والمعول والقوالب، وصاغ القوانين والمراسيم، واوجد أعشاب الشفاء وعلم البشرية كيف تبنى قنوات السقي وصرف المياه.

4/ الإله مردوخ: كان في بداية الأمر إلها خاصا بمدينة بابل، ثم لما عظم مكانة هذه المدينة في زمن حمورابي وأصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية ارتفع شأن الإله "مردوخ" وصار مقدسا في كل البلاد، وهو الابن البكر للإله "أنكي/أيا" ورث عن أبيه العلم والسحر، وهو الذي يتولى الرقي والتعاويذ للآلهة، ولمردوخ أربع عيون وأربع آذان فهو أعقل العقلاء بين الآلهة، تسلم منهم القوة التي استطاع عن طريقها أن يدير شؤون السماء والأرض، وقد تركزت فيه صفات الآلهة جميعا وكلمته تخلق الخلق أو تمحوهم.

5/ الإله "سين" أو "ننار": إله القمر، سمي أيضا "ننا"، ومعناه رجل السماء، وسمى عرب الجنوب إله القمر "وَد"، وعند الآرميين سمي "شهر"، وعند الأمهريين سمي "ورخ" و"يرخ"، وقد خص إله القمر بمدينة "أور" منذ الأزمان وشيد له فيها معبد شهير لا تزال بقايا الصرح المدرج "ألزاقورة" فيها باقية.

وخصصوا له زوجة هي "نتجال" وعبدت معه في معبده في أور وانتقلت عبادة القمر إلى جهات سوريا وشيد له معبد في حران، وانتشرت عبادته من حران إلى الفينيقيين.

6/ الإله شمش: إله الشمس، وقد سماه السومريون "أوتو" أي "الضوء والنور"، ودعوه كذلك "بيار" أي "النير" وسماه الساميون "شمش" أي الشمس، وكانوا يمثلونه بهيئة آدمية كما صور في أعلى مسلة حمورابي، ومثلوه أيضا بدائرة ذات أربعة خطوط تنبعث منها حزم

الأشعة، وكانوا يصفونه بضوء العالم، ضوء السماء والأرض، ضوء الآلهة، الذي يولد الليل والنهار ويهب الحياة ويحمى الموتى، ولأنه ينير بضوئه فهو إله العدل والحق والشرائع وهو الذي أملى على حمورابي شريعته المقدسة وهو القاضي الأعظم وسيد الكهانة والعرافة.

عبد إله الشمس بوجه خاص في مدينتي "لارسا" و"سيبار" وقد قدسه الآشوريون وشيدوا له بعض المعابد، وعبدت معه زوجته "آي"، وقد جسم البابليون "العدل" و"الحق" وجعلوهما ابنين للإله.

7/ الإلهة عشتار: إحدى بنات إله القمر "سين" وهي ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح، وأنثى في المساء ترعى الجب والشهوة، فهي تسعى وراء اللذة والإغواء، وقد مثلوها بالزهرة ورمزوا إليها بنجم تخرج منه ثمانية من الأشعة أو ستة عشر داخل دائرة.

احتلت عشتار مكان بارز في ديانة بلاد الرافدين وانتشرت عبادتها إلى جميع أنحاء الشرق الأدنى وأنحاء أخرى من العالم القديم، وأخذ الإغريق عبادتها وسموها "أفروديت"، وعبدها الرومان باسم "فينوس"، وقد سماها السومريون باسم "إينانا" أو "انيني" ومعنى ذلك سيدة السماء ودعاها الأكاديون والأشوريون الساميون باسم "عشتار" وعرفت باسم "عشتاروت" و"عشترويت" عند الأقوام السامية الأخرى ولا سيما في جهات سوريا، كما عبدها العرب في الجنوب.

8/ الإله أشور: وهو الإله القومي للآشوريين، احتل عندهم المكان الأول من بين قائمة الآلهة السومرية، والبابلية التي عبدها الآشوريين أيضا .

وقد كان آشور في مبدأ أمره إلها محليا لمدينة آشور ولكنه أخذ يكبر مع مدينته، ثم زاد نموه مع بلاده حتى إغتصب اختصاصات غيره من الآلهة، فأصبح أبا للآلهة بدلا من الإله "آنو"، وإله الأرض بدلا من الإله "إنليل"، بل أنه صار خالقا للآلهة جميعا، وقد اعتقد الآشوريين بأن له دورا مهما رئيسيا في شؤون الكون والخلق، وشيدوا له المعابد الفخمة في آشور وفي غيرها من المدن الآشورية المهمة، ورمز إليه بإنسان يطير بجناحين وبيده قوس وسهم والجناحان تنبعثان من قرص الشمس، وقد أخذ الفرس الإخمينيون هذا الرمز لإلههم "أهورامازدا".

ثالثا/ الموت والعالم الآخر

على الرغم من وجود الكثير من الأساطير التي تؤكد أهمية سعي الانسان وراء الحياة، مثل اسطورة إيتانا Etana الراعي الذي حاول أن يرقى إلى السماء على أجنحة النسر، فقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل، إذ كان الموت مصير البشر نساء ورجالا، بل أن "دموزي Dumuzi" الذي كان في الأصل ملكا على أوروك والذي قيل أنه تزوج الإلهة "إنانا"، وكان لابد أن يموت، وعندما نزل إلى العالم السفلى راحت حبيبته تبحث عنه بغير جدوى.

إن فكرة البعث بعد الموت والحساب لم تعرف عند البابليين منذ البدء على خلاف المصريين القدماء، وعلى ذلك ففكرتهم في القيام بالعبادة وتقديم القرابين لم تكن للحصول على الحياة الخالدة بل طمعا في النعم المادية الملموسة في الحياة الدنيا.

وعقيدتهم في ذلك هي: أن الإنسان ما دام يعمل صالحا فقد استحق رضا الآلة وعاش متمتعا بالسعادة، وأما إذا أذنب فإن الإله حاميه يتخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشر ويتردى في عالم الرذيلة.

وبالموت تنفصل الروح عن الجسد وتنتقل إلى طور جديد من الوجود إذ تنحدر بعد وضع الجسم في القبر إلى عالم الأرواح وهو العالم السفلي، وتعيش هناك إلى الأبد، حيث لا قيامة، ولا حساب، ولا رجعة ولا عالم آخر.

هناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى، فالجحيم المظلم "أرالو Arallu" أو الأرض الهائلة أو دار الأشباح توجد تحت الأرض، وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب خُبرة Habour وينعكس هذا الاعتقاد التي عثر عليها في بعض القبور، ففي

مملكة "أريشكيجال Erishkigal" وزجها "نركال Nergal" مع حاشيتها من الموظفين من صرعى الحروب بما في ذلك وزيرهم "أنتروم"، وإلهة الكتابة "بعلة صيري Beleterstim" التي تقوم بتسجيل الداخلين وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات.

وتعتمد مرتبة المرء في العالم الآخر على نشاطه أثناء حياته ويتولى الحكم على أرواح الموتى إله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي في السماء، فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم، كما يحكم عليهم أيضا الإله "ننار" الذي يقرر نصيبهم.

رابعا/ <u>العبادات والشعائر</u>

المعبد هو بؤرة النشاط الديني، وقد بدأ ظهور المعابد في بلاد الرافدين مع الانقلاب الكالكوليتي "النحاسي"، وبدأنا نرى المعابد بصورته البسيطة في جنوب العراق القديم حيث كان المعبد نواة ظهور المدينة في المركز وطرد القرية إلى المحيط.

إن أول المعابد ظهورا كان في أريدو Erido، وهو معبد يعود إلى الألف الخامس ق.م وقد كانت هذه المدينة مخصصة للإله "أنكي"، وهو بناء على شكل مستطيل في حائطه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإله أو شعار مقدس، وأمامهما منضدة للقربان، ويمكننا أن نحصي الكثير من المعابد في العصر السومري مثل: معبد إنانا ومعبد "آن" في الوركاء، زقورة آنو، معبد خفاجي للإله سين، معبد تل براك، معبد ننخرساك في تل العبيد، معبد إنليل في نفر، معبد عشتار في آشور معبد "سين" في أور..الخ، ومن أشهر المعابد الرافدية صرح بابل المدرج أو الزاقورة التي كانت بلا شك قائمة في زمن الدولة البابلية الأولى (1530-1830 ق.م) والتي رفعت الإله مردوخ إلى مرتبة رئيس الآلهة في قصة الخليقة التي ورثوها عن السومريون.

لقد اهتم سكان بلاد الرافدين بإقامة المعابد للآلهة وحرصوا على إرضائها وتقديم القرابين لها التزاما بخشيتها وعبادتها من جهة وأملا في أن تمنحهم السعادة والرخاء في الحياة الدنيا من جهة أخرى، ولعل أوضح مثال ما قاله الملك آشور للآلهة عندما رمم معابدها :"إمنحوني –أنا الذي أخشى معبوداتي العظيمة- حياة تمتد أياما طويلة وسرور القلب".

إن الشعائر الدينية الرافدية كثيرة ومتنوعة منها: الصلوات، القرابين، الأعياد، ومنها ما يتخذ لمعرفة طالع الإنسان والوقوف على المستقبل، ونتيجة أعمال الإنسان، وهو ما يطلق عليه بالعرافة والكهانة، فقد كان الكهنة الوسيلة البشرية لتحقيق الغرض الديني في المعابد، ويمكن أن نفترض أن منشأ الكهنة مرتبط بمنشأ المعبد، إلا انه من الصعوبة بما كان تحديد المراتب في السلك الكهنوتي بشكل مطرد لجميع الفترات الحضارية، ويعود ذلك إلى أن النظام الكهنوتي كجزء من نظام المعتقدات الدينية المقدسة، كان محاطا بهالة من التستر والسرية، خاصة ما يتعلق منه بالطقوس الدينية وأعمال السحر وطرد الأرواح الشريرة

وقد كانت طبقة من الكهنة تدعى "بارو Bura" يتولون مهمة العرافة وتتركز أعمالهم في كشف الفأل وتفسير الأحلام، لذا كان دورهم في الحياة العامة خطيرا بخاصة في شؤون الدولة والملك.

أما أنواع العبادات فنذكر منها: عبادات يقوم بها الفرد دون وساطة كهنة المعبد؛ كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار، ومنها ما يقوم به الكهنة كذبح القرابين وما يتبع ذلك من أعمال الصلاة وحرق البخور وسكب السوائل المقدسة.

خامسا/ <u>الأساطير</u>

اشتهرت حضارة بلاد الرافدين على غرار الدول القديمة بالأساطير، وهي كثيرة ومتنوعة، ولعل اهمها:

1/ أسطورة خلق الكون: وهي أسطورة قديمة ترجع أصل نشأة الكون إلى نزاع بين آلهة الشر والظلام، وآلهة الخير والنور، وقد تم إعادة كتابة هذه الأسطورة من طرف الكهنة البابليين الذين أعلنوا من شأن مردوخ وجعلوه بطل النزاع بين الآلهة وخالق العالم والإنسان ونقرأ فيها ما يلي:

- في البدء كانت الإلهة "نمو" ولا أحد معها وهي المياه الأزلية الأولى التي انبثق عنها كل شيء
- أنجبت الإلهة "نمو" ولد وبنت، الأول "آن" إله السماء، و"كي" إلهة الأرض المؤنثة، وكانا ملتصقين مع بعضهما وغير منفصلين عن أمهما.
- تزوج "آن" و"كي" وأنجبا "إنليل" إله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة.
- لم يطق "إنليل" الإله الشاب النشط ذلك السجن فقام بقوته الخارقة بإبعاد أبيه "آن" عن أمه "كي"، فرفع الأول فصار السماء، وبسط الثاني فصارت أرضا ومضى يرتع بينهما.
- كان "إنليل" يعيش في ظلام دامس فأنجب إبنة سميت "نانا/ سين" إلهة القمر ليبدد الظلام في السماء وينير الأرض، ثم أنجب بعد ذلك "أتو" إله الشمس.
- بعد ذلك قام إنليل مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى من نباتات وحيوانات وإنسان.

2/ أسطورة خلق البشر: تقول الأسطورة أن الآلهة –آلهة الوظائف- بدأت تشعر بالتعب فكانت بحاجة إلى خدام، فذهبوا إلى "أنكي" –إله الماء والحكمة- ليخلق لهم خدما يقومون مقامهم في الحرث وسقي الأرض والرعي، وبعد أن فكر "أنكي" قرر القيام بخلق كائن "لا إلهي" ونصح أمه الإلهة "نمو" بأن تشرف هي على هذا الخلق، بعجن الطين الموجود في مياه "الأسيبو" وتساعدها في ذلك الآلهة "نينماخ" أي أن الإله أنكي قرر شكل الإنسان، أما ولادته فتركها لآلهة الولادة السبعة وللإلهة نينماخ والإلهة "نمو" .

في حفلة إلهية كبيرة تقوم الالهة نينماخ بصنع ستة أنواع من الإنسان، لكن "إنكي" عندما فحصهم وجدهم مشوهين فقرر مصائرهم في خدمة الآلهة والملوك، ثم قام "أنكي" بصنع مخلوق بشري اسمه "أومول" –معناه يومي البعيد- وكان يعاني من عدة عاهات أيضا، ليخرج نينماخ في كيفية تعيين مصيره وتفشل نينماخ أيضا.

يبدوا أن هذه الأسطورة تبين تنافس "أنكي" و"نينماخ" في خلق الانسان، وتعيين مصيره، ولكن مادة الخلق كانت من الطين الذي في مياه الأعماق، أما قضية التشويه فهي إشارة إلى نقص الإنسان الأول ومرض وعدم تكامله، ولمحت الأسطورة إلى خلق الإنسان بطريقة تشبه زرع البذور في الأرض وظهور البشر على الأرض نتيجة لهذا الزرع.

3/ أسطورة الطوفان: وهي قصة سومرية، كان مبعثها الاختبارات المريرة التي عانى منها السومريون بسبب الفيضانات الكاسحة لنهري الدجلة والفرات وقد كتبت في قالب شعري يوصل إلى معنى أن الآلهة: استشاطت غضبا وقررت أن تعاقب الإنسان على شره وفساده بإغراقه بالطوفان، علة أنها قد كشفت هذا السر لرجل واحد اسمه"أوتنا بشتيم" الذي بنى فلكا ونجا به مع عائلته ومختارات من كل جنس حي.

4/ هبوط عشتار إلى أرض الأموات: تقول الأسطورة أن عشتار نزلت لتنقذ حبيبها تموز الذي كان قد مات، وهو إله الشمس والربيع الذي يخفف نشاطه عادة في فصل الخريف، إذ تقف عند الباب تأمر آلهة الموتى أن تفتح لها، لكنها كي تجتاز الأبواب السبعة يأخذ منها حراس الباب عند كل باب قطعة من ثيابها، لتدخل دائرة العالم السفلي بدونها، وهناك تبقى فترة تتجرع مرارة الألم، لأن إله الوباء يصيبها بستين مرضا على التوالي، وفي الوقت عينه يصاب الناس والحيوان في العالم العلوي بجذب وعقم، ويهجر الحب والخصب الأرض، فتغضب الآلهة الأخرى فتبعث برسول إلى الهاوية، وتأمر إلهة الموت، وهي مكرهة، أحد أعوانها برش ماء الحياة على عشتار فتعود إلى الصحو والازدهار.

المحاضرة الخامسة: الديانة في مصر الفرعونية

تعتبر الديانة المصرية من أعقد الديانات القديمة بسبب تعدد الآلهة واختلاف المعتقدات من إقليم لآخر، ومن زمن لآخر، وتستمد عناصرها من البيئة المصرية القديمة فقدسوا الحيوانات، الأشجار، والكثير من الظواهر الطبيعية، وهذا ما أكده هيرودوت عندما قال:"المصريون أكثر الناس تدينا من سائر البشر، وهم يهتمون كل الاهتمام بالشعائر المقدسة... فقد سبقوا العالم في إقامته هذه الأعياد العامة والمواكب العظيمة وعنهم تعلم الإغريق"، فإذا كان المصري قد عاش ظواهر الكون الكثيرة التي تهبه الخير فإن هناك بعض الظواهر التي عجزوا عن تفسيرها ولم تكن ترضه لما فيها من ضرر وتهديد لحياته، ومن هنا، كان لا بد من إرضاء النقيضين؛ الخير والشر بالعبادة والتقرب، وهذا ما قاله "أدولين إرمان" في كتابه "ديانة مصر القديمة"، إذن كان المصريون أكثر الأمم القديمة تعبدا وتمسكا بالدين وتعاليمه، حتى أن الدين كان عاملا فعالا في كل نشاطاتهم الحياتية، وأعمالهم اليومية، في الكتابة في الحاجات الخاصة، وفي الإرشادات الصحية، وفي أوامر الشرطة وسلطان الأمن.

وكغيره من شعوب العالم أيضا استطاع الفرد المصري أن يميز نفسه عن الحيوان مبكرا، ومع مرور الوقت شعر أنه بحاجة ماسة إلى وجود سند يحميه من الأخطار العديدة والمختلفة التي تهدده، فأوجد بنفسه معبودات تمثلت في الظاهر الطبيعية والكائنات المحلية، فقد انبثقت الفكرة الدينية من المادة الجامدة ومن المحسوس وبعض المرئيات، ومع تدخل الخيال أعطاها قيمة أرفع من قيمة الزمن، فالخيال دفع بهم إلى خلق كائنات جديدة من معطيات واقعية، وبما أن المصري يؤمن بالحياة في الصور، فإنه نقل حقيقة الواقع والحاضر في الصورة لأن الصورة في نظرهم تعيد وجود الحقيقة للمرة الثانية.

1/ أساطير الخلق المصرية

أ/ أسطورة هيليوبوليس

وتعرف بنظرية التاسوع، وهي المركز الرئيسي لعبادة إله الشمس، وتقول الأسطورة أن الخالق الأول "أتوم" خرج من عماء المياه الذي يسمى "نون Nun" ثم ظهر فوق تل من حجر يدعى "بن بن"، وأنجب بغير زواج الإله "شو Shu" إله الهواء، والآلهة "تف نوت" أو "تفنت Tefenet" إله الرطوبة والحرارة، وبتزاوجهما خلق "جب" اله الأرض، و"نوت" إله السماء، وكان إله الهواء "شو" هو الذي زج بنفسه بين إلهة السماء وزوجها إله الأرض، وبذلك فصل السماء عن الأرض، وبزواج "جب" بـ"نوت" خلق أربعة آلهة، وهم: أوزيريس "إله الموتى"، إزيس "إله السحر"، نفتيس" إله العالم المرئي"، و"ست" إله الشر والظلمات.

وتكون الآلهة السابقة "الجيل الأول" من الآلهة، وبعد ذلك خرج الإله "رع" للوجود من زهرة اللوتس على سطح البحر، يقال إنه خلق نفسه دون تدخل من "أتوم"، ليشب الصراع بينهما، بسبب سيطرة "رع" على مكانة كبير الآلهة، ومن هنا بدأت الآلهة في الانقسام إلى صنفين، صنف أتوم، وبشوب الحرب قامت الآلهة بخلق الشياطين والشر لمواجهة الفريق الأول، وبازدياد قوى الشر على الأرض قررت الآلهة تركها للأبد والعيش في السماء، بعد خلق البشر وتسخيرهم لمواجهة قوى الشر، وخلق البشر –حسب الأسطورة- كان بعد تزاوج الإله أوزيريس بالإلهة إزيس.

ب/ **أسطورة منفيس**: كانت وثيقة الصلة بتعاليم هليوبوليس، ومن هنا قيل أن الخلق بدأ مع ظهور التل الأول من مياه العماء، وارتبط أربعة أزواج من الآلهة في الصفات الكونية "نون" و"نونت" بالماء الأزلي (مياه العماء)، و"حوح" و"حوحت" بالكون اللانهائي، و "كوك" و"كاوكت" بالظلام الأبدي، و"أمون" و"أمونت" بالخفاء والهواء، هذه الآلهة الثمانية تتألف من أزواج لا تمايز بينها من الناحية النظرية، وربما كانت

أربعة آلهة ثنائية الجنس هي الأشكال الأصيلة، وكان أمون هو رأس الثمانية، واسمه يعني "الموجود الخفي"، وهذه الآلهة الثمانية من خلق الإله "بيتاح".

2/ مصادر الديانة المصرية وأصل الآلهة

يرجع أصل الآلهة المصرية إلى قوى الطبيعة التي كانت ذات أثر مهم في حياة سكان وادي النيل الأقدمين، حيث جسموا وشخصوا هذه القوى وعبدوها على هيئة آلهة، وأهم ما تتصف به صفة التشبيه، أي أنها كالبشر من ناحية الصفات الروحية والجسمية، ولكنها أعلى وأسمى من الإنسان وبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والإنسان، كما أنها تتصف بالخلود بوجه عام، وقد أرجع بعض الباحثين القوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة المصرية إلى ثلاث مصادر رئيسية هي:

أ/- القوى المستمدة من الشمس: إله الشمس "رع"، أتوم "خفرع" وقد نشأت ونمت في معبد الشمس هيليوبوليس.

ب/- القوى المستمدة من الأرض: إله الأرض "جيب" "فتاح"، وكان هذا الأخير هو الإله الخالق بحسب لاهوت الخليقة الخاص بمدينة منفيس، أما "جيب" فقد ورد في الآداب الدينية أن الغلة تنموا على أضلاعه.

ج/- القوى المستمدة من الحيوان: قدس المصريون الحيوانات حتى آل بهم الأمر إلى أن اتخذوها آلهة تعبد، ولكنها لم تعبد في البداية بكونها آلهة وإنما لأنها رمز الآلهة، فكان لكل إله رمز خاص به، فيرمز برأس بقرة للإلهة "حتحور"، برأس كبش للإله "أمون"، وبرأس عجل للإله "أبيس"، وبرأس لبؤة للإلهة "سخمت" إبنة "رع"، ولما كان لكل مكان إلهه المقدس فله أيضا حيوانه المقدس، وقد يكون الحيوان مقدسا في مكان بينما هو غير مقدس في غيره، فالتمساح كان يعبد في "طيبة" وكان يطارد ويقتل في غيرها، ولوحظ أن عبادة الحيوان كان في البداية مقصورة على واحد من آحاد نوعه، ويختار لصفات تلحظ فيه.

ثم ترقت عقيدة المصرين في تأليه الحيوان وعبادته، فانتقلوا من اختصاص حيوان من آحاد نوعه بالعبادة بحلول الإله فيه، إلى عبادة النوع كله بحلول الآلهة فيه، وكانت الآلهة في مصر القديمة، تتجمع في مراكز عبادتها في تساعيات على نمط هيليوبوليس، لكن هناك تصنيف محببا آخر تجمع فيه الآلهة على هيئة ثالوث يرتبط فيه الإله المحلي الرئيسي بزوجته وابنه، وهكذا نجد الآلهة "بتاح" و"سخمت" و"نفرتم"، تتجمع في "منف"، كذلك تتجمع الآلهة "آمون" و"موت" و"خنسو" في ثالوث آخر، وهناك ثالوث ثالث يجمع بين "بتاح" و"سوكاريس" و"أوزيس" حيث يتجمع ثلاث آلهة للموتى من الذكور.

3/- أهم الآلهة المصرية

يذكر عبد العزيز صالح أن :"المصريين الأوائل ردوا كل ظاهرة حسية تأثرت دنياهم بها إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها، وتستحق التقديس، الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من علل وقوى إلاهية، ومن هذا الشعور نشأت الديانة المصرية القديمة"، وترجع أصول الفكر الديني المصري إلى عصر ما قبل الأسرات، لكنها تبلورت في العصور التاريخية عندما تتجه المقاطعات المصرية إلى اتخاذ آلهة محلية، حيث كان لكل مقاطعة إلاهها الخاص، فقدس المصريون في البداية آلهة ذات شكل حيواني، ثم آلهة ذات شكل إنسان ورأس حيوان، ثم آلهة على هيئة بشرية، لتمتزج بعض الآلهة لتظهر في شكل بشري وحيواني.

في عهد الدولة القديمة اتصف الملك بصفة الألوهية، على أنه انعكاس الآلهة على الأرض وهو إله الدولة المصرية الموحدة، لكن بداية من الأسرة 5 شهدت الديانة المصرية تطورا حيث بدأ نفوذ الإله شمس في ازدياد ونفوذ، وفي الفترة الانتقالية الأولى قدس المصريون إلهين هما "أوزيريس، رع"، وفي عهد الدولة الوسطى ظهر نوع من المزج الإلهي بين الإله رع وآلهة أخرى مثل حورس، أوزيريس، إزيس،ثم بعد مجيء الهيكسوس اشتهرت عبادة الإله "ست"، ومع بداية الأسرة 18 عاد من جديد الإله "آمون رع" وهو الاله الرسمي، وقد حدث في أواخر الأسرة

18 في عهد الملك أمنحوتب الرابع (أخناتون) ثورة دينية عامة عرفت بالثورة الأتونية، وتعني الإله شمس "آتون" الذي يرسل أشعته إلى الأرض فيحمل إليها النور والحياة، لذلك قام أمنحوتب ببناء معابد مفتوحة إلى السماء، ولعل أهم الآلهة الذي عبدت في مصر القديمة نجد:

- **أبيس Apis**: عُبد على هيئة العجل في منف منذ عصر الأسرات المبكر، رب الخصوبة، وفي مرحلة متقدمة أصبح صورة من صور "بتاح"، له علامات مميزة، ويمثل واضعا قرص الشمس بين قرنيه.

- **أتوم Atum**: اسمه يعني "التام أو الكامل"، اعتقد المصريون أنه خلق نفسه على قمة التل الأزلي، ومن ثم فهو خالق العالم، خلق من ذاته "شو" و"تفنوت"، وعلى هذا الأساس يقع على رأس قائمة تاسوع "هيليوبوليس"، واندمج مع الإله "رع" وعرف باسم "أتوم رع".

- **آتون:** قرص الشمس، الذي لم يعبد قبل الدولة الحديثة، ارتفع في عهد الملك أخناتون إلى الإله الأوحد، مثل في أول الأمر على شكل "رأس صقر"، ثم كقرص شمس بأشعة تنتهي بيد آدمية تمسك غالبا علامة الحياة، من ألقابه "الحرارة المنبثقة من قرص الشمس رب الأفقين، الذي لا يتلألأ في أفقه باسمه، كوالد لرع الذي عاد إلينا كآتون".

- **أمنتت**: ربة اسمها يعني "الغرب"، حامية لموتى سكان الغرب، ارتبطت بـ"حتحور" إله "الغرب الجميل".

- **آمون**: الإله "الخفي"، يظهر على هيئة رجل يلبس تاج تعلوه ريشتان، ويتخذ شكل الإله "مين" في كثير من الأحيان، كذلك مثل على صورة الكبش أو الإوزة، أول ما ظهرت عبادته كانت في إقليم طيبة، يعد أحد أعضاء ثامون "الأسمونين"، ثم أصبح المعبود الرسمي للإمبراطورية الحديثة، لقب بـ"ملك الآلهة"، واندمج مع كبار الآلهة فأصبح "آمون-رع"، "آمون-مين"، "آمون-خنوم".

- **آنوبيس** : مثله المصريون على هيئة كلب يربض على قاعدة تمثل واجهة المقبرة أو في وضع مزدوج متقابل، مثل كذلك علة هيئة إنسان برأس كلب، بعد حاميا وحارسا للمقابر، واتخذ كذلك صفة "المُحَنِّط" لأنه قام بتحنيط الإله "أوزيريس"، وحسب بعض الأساطير فإن أبوه هو "أوزيريس" وأمه هي "نفتيس".

- **أوزيريس**: الإله الذي قاسى من الشرور حتى الموت، يمثل على هيئة رجل، يلبس تاج "الأنف"، ويقبض بيمينه على عصا الراعي وبيساره على عصا النخنخ"، أصبح حاكما لعالم الموتى، ومنذ وقت مبكر أصبحت أبيدوس أهم مركز لعبادته، كانت مدينة أوزيريس في الجنوب الغربي من سمتو في الدلتا اولى المناطق التي ظهر بها.

- **إيزيس**: أخت وزوجة الإله أوزيريس، وأم "حورس" والتي حمته من أخطار كثيرة حيث لعبت دورا هاما كإلهة ساحرة، تمثل دائما امرأة تحمل علامة "العرش" على رأسها، وأحيانا تلبس قرنين بينهما قرص شمس، وأخذت أشكال ومظاهر مختلفة.وانتشرت عبادتها في أوربا منذ العصر اليوناني.

- **إيمحتب**: مهندس الملك "زوسر" الذي بنى له مجموعته المعمارية حيث كان أول من استخدم الحجر في بناء كامل، وامتد نبوغه إلى الطب كذلك، وفي الأسرة 26 ألهه المصريون وسموه "بتاح".

- **بتاح**: يتخذ شكل إنسان بدون تحديد واضح لأعضائه، أدمج منذ عصر مبكر مع الإله "أبيس" و"سكر"، وبعد ذلك مع الإله "تاتنن"، عبد على أنه خالق ورب كل الصناعات والفنون.

- **تحوت**: إله القمر، رسول الآلهة، ورب فن الكتابة، ووسيط في الصراع بيم "حورس" و"ست"، ورمز إليه بالطير "أبيس" وأحيانا بالقرد، كان مركز عبادته مدينة "الأشمونين".

- **تفنوت**: كانت هي وأخيها وزوجها "شو" أولى المخلوقات التي خلقها "آتوم" من ذاته، وهما يمثلان عينا "حورس" رمز الشمس والقمر، وكان مركز عبادتهما في "ليونتوبوليس" بالدلتا، اتخذت هي و"شو" شكل الأسد.

- **جب**: إله الأرض، مثل على هيئة رجل، كان يعد قاضيا، والأمير الوراثي أو أبو الآلهة، تزوج من أحته "نوت" آلهة السماء وأنجبا أوزيريس و إيزيس وست ونفتيس.

- **حتحور**: يعنى اسمها "منزل حورس" أو "مقر روحس"، تعد من أشهر آلهة مصر المؤنثة وهي "عين رع" التي دمرت أعدائه، بالإضافة إلى أنها عبدت كإلهة الموتى في طيبة على وجه خاص، غالبا ما تمثل على هيئة إمرأة تحمل تاج عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس، أو بقرة وأحيانا نراها كلبؤة أو ثعبان أو شجرة، مركز عبادتها الرئيسي في دندرة، حيث كونت ثالوثا هي وزوجها "حورس" وابنها "إيحي".

- **حورس**: "البعيد" إله قديم للسماء، صوره المصريون علة هيئة صقر أو رجل برأس صقر، ومنذ بداية العصور التاريخية كان حورس رمزا لملك حيا أو ميتا، له عدة مظاهر، من بينها "حور آختي" أي "حورس الأفقين" و"حورس بن إيزيس" و"حورس سماتوي" موحد الأرضين، و"حورس باخرد" أي حورس الطفل، وله دور كبير في الصراع مع الشر ممثلا في عمه "ست" المغتصب للعرش مع أبيه "أوزيريس" والذي انتهى بانتصاره.

- **رع**: أهم الآلهة المصرية وأشهرها، أدمج في عدة آلهة، يأخذ شكل إنسان، عبد كخالق للعالم، يسافر في مركبه عبر السماء بالنهار وفي العالم الآخر في الليل، مركز عبادته في هليوبوليس منذ القدم، حيث يرأس التاسوع المكون منه، منذ الأسرة 4 أصبح الإله الرسمي للبلاد، اندمج مع "أمون" منذ الدولة الحديثة تحب اسم "أمون-رع".

- **سبك**: عبد على هيئة تمساح، أو على هيئة رجل برأس تمساح، كان إبنا للإلهة "نيت"، أهم مراكز عبادته "كروكوديبوليس" "كوم أمبو".

- **ست**: صوره المصريون على هيئة إنسان برأس حيوان غريب، يشبه رأس كلب بأذن مفلطحة قائمة وذيل مستقيم ممدد إلى أعلى، وهو أقدم آلهة مصر وعضو في التاسوع المقدس، مركز عبادته الرئيسي في مدينة "أمبوس"

- **معات**: "ربة المنزل" زوجة الإله "ست" اشتركت مع "إزيس" في جمع أشلاء "أوزيريس" ولم تأخذ دورا شريرا باقترانها مع "ست"، كانت تقوم بحراسة أركان التوابيت مع "إيزيس، نبيت، سرقت"، في إحدى الأساطير هي أم "أنوبيس".

- **نوت**: إلهة السماء تمثل امرأة منحنية على الأرض "جب" زوجها وشقيقها، وهي أم لأوزيريس، إيزيس، ست، نفتيس"، كانت تصور داخل التوابيت لتحمي المتوفي بجناحيها.

- **نون**: الماء الأزلي الذي انبثق منه كل شيء، ومن ثم فهو "أبو الآلهة" ومنه تخرج الشمس يوميا ومع شقه الأنثوي "نونيت" يكونان زوجا من أربع أزواج ثامون الأشمونين.

4/ البعث والحساب

لعل أعظم وأروع ما في الديانة المصرية هو الاعتقاد بالحياة بعد الموت والخلود فيها، وبالمثواب والعقاب على ما قام به الإنسان من عمل في حياته الأولى، وقد قامت عقيدتهم على أمرين رئيسين هما:

أ/ فكرة العدل الالهي: قالوا :"أننا نشاهد صراعا عنيفا بين قوى الخير والشر في الحياة، المسيء على إساءته ما استقام العدل الإلهي، إذن فمن العدالة أن يكون يوم آخر وحياة أخرى لينتصر فيها الخير والأخيار، وينتصف فيها الشر والأشرار".

ب/ وجود الروح وخلودها: اعتقد المصريون بأن الإنسان مكون من عنصرين هما الجسد والروح، وأن الجسد شيء كتب عليه الفناء وأن الإله قد وكّل أمر حياة البشر وإحساسه إلى روح تغاير الجسد صفة ومادة ونسيجا، فهي خالدة لا تعترف بموت أو فناء، فالروح يفارق الجسد بعد الموت، ويعلو إلى السماء، حيث يحتشد مع غيره من بقية الأرواح في قارب "رع" المجتاز للسماء سائرا بهذا الحشد إلى الغرب حيث "لوركارون" الذي يحمل الأجساد في قاربه إلى الأبدية وحيث مملكة "أوزيريس" رب المغرب والخلود، وعالم أوزيريس هو عالم الأموات، فيه قاعدة العدل الإلهي أو قاعة الخلود، يتصدرها القاضي الأكبر أوزيريس، إلى جانب زوجته إيزيس وأختها نفتيس، وأمامه يقف إبنه حورس، ومعه أنوبيس الموكول إليه أمر الموتى، وغير بعيد عن عرش القاضي الأكبر يقف "توت" رب الحكمة، يحمل صحائف أعمال الأرواح القادمة إلى قاعة العدل، والتي سطرت فيها الحسنات والسيئات، ولا تكاد تبدأ المحاكمة حتى يأخذ كل من هؤلاء مكانه، ويجلس 42 قاضيا ويوضع الميزان إلى جانب "معات" ربة العدل، وغير بعيد منه الوحش البشع الهيئة الذي يسمى "الملتهمة"، يجلس متحفزا في انتظار الروح الشريرة ليتولى عذابها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عودة الروح، وبقائها حية بعد الموت يتوقف على أشياء كثيرة عند المصريين منها:

- قيام البشر بطقوس معينة.
- تزويد المتوفي بما يحتاج إليه الأحياء من عون مادي كالأدوات والأثاث والطعام والشراب.
- المحافظة على سلامة الجسم، لذا بذل المصريون أقصى الجهد في سبيل المحافظة عليه، وهذا ما حفزهم على التفنن في تحنيط الموتى، وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل حتى تعود النفس إلى غلافها، ولضمان ذلك تفننوا في إقامة التماثيل للموتى تشبه أجسادهم تمام الشبه حتى تحل فيها النفس إن كان الجسم غير صالح.

5/ الطقوس: ويمكن تقسيمها إلى :

5-1/ الطقوس اليومية: ومنها

أولا/ الصلاة: وهي طقس ديني يقوم به الإنسان العادي والكاهن والملك، وكانت تؤدى وفق أوضاع منوعة كالركوع والسجود والوقوف بخشوع أمام تماثيل الآلهة.

ثانيا/ طقوس المعبد اليومية: وكانت علة نوعين؛ منها ما يقوم به عامة الكهنة، وهي طقوس الخدمة في باحات المعبد، ومنها ما يقوم بها الكاهن الأكبر ومساعده في قدس الأقداس، وكانت الأولى تؤدى كأعمال روتينية من أجل أن يمنح الإله الملك الحياة الأبدية والسعادة والنصر.

كانت هذه الطقوس تبدأ قبل شروق الشمس، حين يقوم الكهنة بالذهاب إلى البحيرة المقدسة أو بئر المعبد وتبخيره، ثم يدخل حاملو القرابين، ومرتلو الأناشيد ويتقدمون إلى بهو الأعمدة الثانية، حيث تقدم عدة موائد للقرابين، ويضعون ما يحملون فوقها بعد تطهيرها بالماء والبخور، وكانت أعماله تشمل أيضا:

- تهيئة وجبة تقدم كطعام للإله.
- النظافة وتزيين الآلهة بالثياب والمجوهرات.
- رش الماء مقصورة التمثال
- تأدية طقوس صلاة الظهيرة.
- تأدية طقوس المساء.

ثانيا/ التراتيل والأناشيد الدينية: وهي تؤدى في الطقوس اليومية والاحتفالية، ولم يعرف على وجه التحديد إن كانت موزونة بأوزان شعرية.

رابعا/ القرابين: وكان هذا الطقس تقليدا مصريا يوميا مبنيا على أساس أن الآلهة والأموات من الناس، يحتاجون إلى الطعام كما الأحياء، وكان تقديم القرابين شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية، وكانت تتكون في العادة من الحيوانات والنباتات، وقد تكون بسيطة تقتصر على صب الماء والبخور كما يفعل في قرابين الظهيرة اليومية، أما قرابين الصباح والمساء فكانت عامرة.

5-2/ طقوس المناسبات: وتمتاز بأنها غير يومية، وغير دورية في الوقت نفسه وتشمل طقوس الزواج، الولادة، البناء، الموت، وهذه الطقوس لا تحصل في حياة الإنسان سوى مرة واحدة.

أ/ طقوس الولادة: كان السحرة يصنعون للنساء تمائم لنجاح الحمل، وكان الإله خنوم هو الذي يصوغ تشكل الجنين، أما ساعة الولادة فتساعد فيها الآلهات الأربعة: إيزيس، نفتيس، حقت، مسخنت.

ب/ طقوس البناء: كان بناء المعابد بوجه خاص محاطا بالكثير من الطقوس والشعائر الخاصة والتي يعتقد أنها محفوظة في كتاب خاص "تأسيس المعابد" وضعه إمحوتب، وكانت الشعائر تقام قبل بدء البناء وتتضمن قيام الملك أو من ينوب عنه بمساعدة كهنة وكاهنات، فيقوم إلهان بتحديد المساحة، حيث تثبت أربع قوائم يوصل بينها بحبل فيحفر الملك والعمال الأساس ويلقي الملك رمل الأساس في الأخدود وتوضع ودائع الأساس (لبنة أو أكثر من الذهب) ليواصل البناء.

ج/ طقوس الزواج: لم تصلنا طقوس ثابتة للزواج في مصر، فقد كانت الأم تخطب لولدها، وعند الموافقة تعقد طقوس الزواج في المعبد بحضور أقرباء الزوجين وكان والد العروس في الغالب هو الذي يجهزها بعد الزواج.

د/ طقوس الموت "الجنائزية": كان الإنسان عندما يموت يحمله أهله أو أقرباؤه إلى المحنطين الذين يعرضون نماذج مصنوعة تمثل الأنواع الثلاثة من التحنيط، أغلى هذه الطرق التي تتبع طريقة تحنيط جثة أوزيريس، الطريقة الثانية أقل تكلفة، أما الثالثة فلا تكلف إلا القليل من المال، بعد اتفاق تسلم الجثة للمحنطين ويبدؤوا عملهم بإخراج المخ من الجمجمة بآلة معدنية، لها طرف ملتو، ثم يقومون بغسلها من الداخل بنبيذ البلح، وسوائل ذات رائحة عطرة، ثم يتم ملؤها بمسحوق المر، وبواد أخرى ذات عطر طيب، وإذا ما انتهوا من الأحشاء والعناصر الرخوة يقومون بوضع الجثة بأكملها في ملح النترون لمدة سبعين يوما، وإذا ما انتهت هذه المدة غسلوا الجثة غسلا جيدا ثم لفوها في قماش كتاني بعد أن يغمسوه في سائل لاصق.

5-3/ الطقوس الدورية (الأعياد): وهي تمثل مناسبات لاستذكار العود الأبدي لأيام الخليقة الأولى والزمن الأول الذي ظهر فيه الكون، الآلهة، الإنسان، الزمان، المكان، الأشياء عامة، والأعياد الدينية تأخذ طابع التكرار الأسبوعي أو الشهري أو الفصلي أو السنوي، أو لسنوات معينة، ومنها:

أ/ الأعياد الشهرية: كانت أعياد قمرية وكان العيدان الشهريان الرئيسيان هما عيد ظهور الهلال، وعيد اكتمال القمر.

ب/ الأعياد الفصلية: وتتكون من:

أولا/ أعياد الفصول الثلاثة وهي: عيد آخت Akhet، وهو عيد فصل الفيضان، وعيد بيرت Pert وهو عيد الزرع، وعيد شمو Shemut وهو عيد فصل الحصاد.

ثانيا/ العيد السنوي للأيام الخمسة النسيئة، لأن السنة عند المصريين تتكون من 360 يوم.

ج/ الأعياد السنوية: وهو عيد رأس السنة، عيد نهاية السنة، عيد أيام النسيء، عيد الفيضان، عيد الحصاد، ظهور نجم الشهري اليمانية.

4-5/ أعياد الملوك: وقد تنوعت أعياد الفرعون وكان ينظر إليها على أنها أعياد دينية وأهمها: عيد الميلاد، عيد التتويج، العيد الثلاثيني.

5-5/ أعياد الآلهة: وكانت تتصل بتقديس إله معين وتكريس معبده، واشهرها: الأعياد الأوزيرية في أبيدوس، عيد أوبت "أمون".

6/ **الثورة الدينية**:

يبدوا أن الكهنة قد لعبوا دورا رئيسيا في فكرة التوحيد وثبتوا معتنق الآلهة المتعددة في أذهان الناس، إن فكرة التفريد "الإله الأعظم" التي عرفها المصريون، قد تطورت إلى عقيدة التوحيد الإلهي، أو مهدت للدعوة إلى التوحيد التي بدأها الفرعون "أمينوفيس" حوالي 1375 ق.م، أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشر، بعد أن راعه سلطان آمون، ولم يجسر على توسيد معبودة الحامي "تحوت"، خوفا من ثورة الشعب عليه، وتخرُّب الكهنة الأرباب الأخرى ضده، وابتدع اسم "آتون" وكان يقدسه هو وزوجته "تي بي" وصنع قاربا يكثر من التنزه فيه سماه "أتون يسطع"، فظهر من أبناء هذا الفرعون "أمينوفيس الرابع" الذي عرف باسم "أخناتون" وارتقى العرش فجاهر بالتوحيد، و نادى بإلغاء عبادة الآلهة المتعددة، وعبادة "آتون" وحده، أي القوة الكامنة خلف قرص الشمس، ولم يكد يمضي العام السادس على توليه العرش "أمينوفيس 4" حتى غير اسمه إلى أخناتون، أي عبد أتون أو خادم أتون، وأمر الناس بإنكار أمون، إلا أن رجال الدين خصوصا كهمة أمون لم يرضوا عن هذه العودة، واعتبروها إلحادا وحكموا علة أخناتون بالفناء واللعنة، ولكنهم لم يجسروا على إعلان ذلك خشية الانتقاص من سلطان الفرعون كحاكم للبلاد، إذ كانوا يعتقدون أن هذا الظل البغيض سوف يزول وأن ما هو باق هو مصر وعقيدتها، وحدث فعلا ما تنبأ به هؤلاء الكهنة، فبعد أن مات أخناتون سرعان ما لحق به دينه وتغلبت فكرة التفريد "الإله الأعظم" على عقيدة التوحيد "الإله الأوحد".

المحاضرة السادسة: الديانة الفينيقية

انتشرت في الساحل الفينيقي شكل من أشكال الديانات القائمة على الخصوبة والتعلق الروحي بالشمس وعبادة الظواهر الطبيعية الخارجة عن سيطرة الإنسان، ولقد ساعدت عمليات التنقيب في أوغاريت في الكشف عن ألواحها الفخارية المكتوبة بالرموز الأوغاريتية – التي هي مرحلة انتقالية بين المسمارية القديمة والأبجدية الفينيقية المبسطة- قدمت معلومات عن الديانة الكنعانية.التي عرفت آلهة عديدة أبرزها "إيل" كبير الآلهة، "شمس" إله الشمس، "عليان"، "بعل" إله الحياة، "موت" إله الموت، وانتقلت بعد ذلك ديانة أوغاريت في القرن 14 ق.م إلى بقية المدن الساحلية الفينيقية، وبالتدرج حلت عبادة الثالوث الأعظم ويضم كل من "إيل" والإله الأكبر "بعل" الذي هو السيد، و"بعلة" وهي عشتروت، إضافة إلى الإله الشاب وهو مبدأ الحياة يدعى "عليان"، ويدعى "ملقارت" في "صور"، و"أشمون" في "صيدا"، و"أدونيس" في "جبيل"، ويرمز له بشخص محارب منتصر أو بحار عظيم، وهذه القوى الثلاث: الشمس، القمر، العقيدة أو المبدأ الإلهي.

أولا/- أهم الآلهة

تعددت الآلهة وتنوعت عند الفينيقيين كسائر الشعوب القديمة حيث ظهرت الآلهة التي تأثرت بالطبيعة وظواهرها المختلفة:

1- الإله إيل: وكان إيل على رأس الآلهة الفينيقية وهو اسم سامي واستعمل من قبل الشعوب السامية كعلم لكبير الآلهة، وكان أكثر "الآلهة تقديسا"[31]، ويتربع إيل قمة مجمع الآلهة الكنعانية في الأساطير الأغاريتية، فهو الذي أنجب الآلهة من زوجته "أثيرة" التي تعتبر كلها من

[31] أحمد الريفي الشريف، المعتقدات الدينية الفينيقية، مجلة جامعة سبها، مج 7، ع 1، كلية الآداب، قسم التاريخ، مصر، 2008، ص 18,

عائلته، باستثناء الإله "بعل"، ويلقب بأبي البشر وبالمنجب خالق الخلق والذي منح الذرية للملك "كرت" و"دانيل"، وأنه يمتلك الخصب وإصابة الناس بالعقم، يقول فراس السواح :"إيل، كبير الآلهة الكنعانية، إله السماء ورئيس مجمع الآلهة، وهو ألوهة خلاقة وحافظة لخلقها، مهيبة جليلة، ومفارقة للعالم ولكنها في الوقت نفسه رحيمة وحنونة على مخلوقاتها"[32].

ورد ذكر في سفر التكوين 14، 18، 19، 20، على الشكل التالي:" إيل عليون قونة شمايم وأرص وترجمته إيل عليون خالق السماوات والأرض ويعتقد أن كلمة قونة لا تعني خلق وإنما ساد واستعبد"[33]، ويعتقد أن الإله إيل يسكن عند منابع النهرين وسط تيارات جوف المحيطين، ويسمى في اللغة الأغاريتية "ج.ر.ش.ن"[34]، ويبدوا أن إرث الإله إيل تتقاسمه ثلاثة آلهة هي "بعل" وكان نصيبه حكم السماء والأرض، و"موت" عالم الأموات تحت الأرض، و"يم" عالم البحار والمحيطات، ويرمز له بـ"الخوذة المتمرنة" التي تشبه نبات الذرة، أو أحيانا بـ"قرص الشمس المجنح"، أو "القوس الحاد والسهام الملتهبة[35].

2- **<u>بعل حمون</u>**: يعد بعل حمون الإله الأعلى في العالم البونيقي، وأما في فينيقيا فهو "بعل"، وأن معنى اللقب حمون لبعل القرطاجي فهو الناري، ويعبر عنه بشكل الشمس وقد شبه في الفترة الرومانية بالإله "ساتورن Saturnus"[36]، يعتبر بعل حمون أو الإله بعل آمون من الآلهة الرئيسية والمهمة في قرطاجة والشرق الفينيقي وخاصة في مدينة صيدا، فقد احتل مكانة متميزة ضمن آلهة المدينة[37]، فضلا عن ذلك فقد تعددت الآراء حول طبيعة هذا الإله وأصله، فالبعض يعتقد أن بعل حمون، يوافق بعل سيد جبال الأمانوس، بينما يرى آخرون أن بعل حمون يعني سيد مذبح البخور، ويرجع ذلك إلى إن كلمة حمن تعني البخررة أو مذبح البخور أو سيد هيكل البخور[38]، ويرى فريق أخر ومنهم الباحث الايطالي كسرا أن بعل حمون يعني اله المعبد[39]، ويعتقد أن معنى حمون هو الناري ويعبر عنه بشكل الشمس أو سيد أشعة الشمس[40]،

ويعني اسم بعل في كل اللغات السامية "المالك، السيد، الزوج"، الصيغة المؤنثة منه بعلة ويرتبط اسم الإله بأسماء المدن والمواقع، وإن عبادة الإله بعل حمون تعد من أهم العبادات وأكثرها انتشار في غرب العالم الفينيقي، وقد ظهر اسم هذا الإله في الشرق حيث ورد في نقوش "سمأل" في شمال سوريا حوالي القرن 9 ق.م، ووفقا لما جاء في المذبح المعطر وبينما يرى البعض الآخر أن كلمة بعل حمون تعني سيد الألواح النقشية[41]، وتدور معظم حوادث الأساطير الأغاريتية حول بعل وأنه الإله الرئيس في الساحل الفينيقي ويعود ذلك لكونه إله الطقس والعاصفة، لأنه المنطقة تعتمد على الأمطار في ري أراضيها، وهو ما يعرف حتى الآن بالزراعة البعلية، ربما إشارة إلى الإله بعل[42]، ويوصف بعل

---

[32] فراس السواح، لغز عشتار، دار علاء الدين، ط8، دمشق، 2002، ص ص 345-350.

[33] م. بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير، تر. محمد وحيد خياطة، ط2، دار الشرق العربي، بيروت، 2002، ص 233.

[34] نفسه، ص 236.

[35] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 76.

[36] بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص ص 210-211.

[37] مادلين هورس ميادان، "تاريخ قرطاج"، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 69 ؛ سبتيينو موسكاتي، "الحضارات السامية القديمة"، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967، ص 128.

[38] أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، ص 137.

[39] مادلين هورس ميادان، مرجع سابق، ص 64 ؛ أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص 137 .

[40] الشاذلي بورونيه وآخرون، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 275.

[41] أحمد الريفي الشريف، المرجع السابق، ص 19.

[42] فتحية فرحاني، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني "213-46 ق.م"، منشورات أبيك، القاهرة، 2007، ص 300.

في النصوص القديمة على أنه ابن الإله "دجن" ويبدو أن نصوص أوغاريت تذكر أن "صفن" هو مقر الإله "بعل"، وقد بنى له الإله "كوثار" قصرا فوقه ومن علياء سكناه كان يدير شؤون العالم وهناك وارته الثرى أخته "عناة" عندما تمكن منه الإله "موت" وأرداه قتيلا[43].

أما الرمز الديني الذي جسد فيه الإله بعل فيتمثل في الرمح المورق الذي اعتاد بعل على الإمساك به في يده اليسرى، بينما يحمل "العصا" بيده اليمنى ويرجح أن الرمح المورق رمز أصيل من رموز بعل فهو يوحي بالخصب والقوة بالحب والحرب معا.

3- **تانيت**: لقد برزت تانيت في القرن 5 ق.م كمعبودة شعبية وقد اختلف المؤرخون في أصلها وأن عدم الإشارة إليها في نصوص رأس الشمرا وصور وغيرها يؤكد أنها غير فينيقية، وأن اسمها الليبي فضلا عن عبادة البربر لها إنما يدل على أنها ليبية "إفريقية" الأصل.

وقد تحدث أبوليوس عن الآلهة تانيت واصفا إياها بأنها أعظم الآلهة وأم لكل حي آلهة الخصب والنماء ومرتبطة بالأرض[44]، وإله قمري في آن واحد وأنها ملكة جميع الناس وهي الآلهة الوحيدة التي عبدها العالم تحت أسماء وأشكال وطقوس مختلفة وكثيرا ما تتم معادلتها بالآلهة السامية عشترت، وهي المقدمة على جميع الآلهة السماوية، وقد اعتبرها الإغريق معادلة للالهة أرتميس والرومان معادلة الإلهة ديانا diana، وأوجونو كيلستس Juno Caelestis أو فينوس Venus، وكانت تأنيت قرطاج ربة سماوية مرتبطة بالقمر والهلال والقرص اللذين يظهران على كثير من المباني الدينية في المواقع الفينيقية الغربية، وفي بعض الأحيان كان يرمز إليها بيد مرتفعة، أو بصولجان[45].

ويظهر أن الإلهة تانيت قد مثلت في أشكال أنثوية تحمل أسلحة مع ارتفاع ذراعيها تمثيلا بسيطا على مئات الأنصاب في العالم الفينيقي الغربي، ويبدو أن رمز اليد اليمنى المفتوحة والمرفوعة إلى الأعلى كان له علاقة بهذه الآلهة والمقصودة هو جلب الخير والحماية وهي تمثل شكلا من أشكال التمائم لا زالت توجد في البلاد العربية وخاصة ليبيا حيث ترسم عند مداخل البيوت والغرف لجلب البركة والخير وللحماية من عين الحسود، وكذلك الهلال المقلوب الذي يظهر في الجزء المقعر منه دائرة أو نقطة، وكما يظهر على نصبها أيضا صولجان ملتف حوله حيتان وفي أعلاه جناحان والشكل يرمز إلى جسد امرأة وكذلك الهلال المقلوب إلى الأسفل ومعه قرص الشمس، وأحيانا بشكل ثمرة الرُمان، وطائر الحمام، والسنابل[46].

4- **عشتارت** Ashtarat: عشتارت أو عشتار وجمعها عشتاروت، وهي الصفة المؤنثة من البعل أي بعلة أو السيدة وقد أطلق العبرانيون عليها حسب ما جاء في سفر الملوك "عشتروت"، انتشرت عبادة هذه الآلهة في كل مكان حل به الفينيقيون وقد صورها الباحثون بصورة الآلهة العسكرية فهي آلهة الحرب والصيد هذا من جهة[47]، ومن جهة أخرى كانت عشتارت رمزا لظاهرة الخصوبة، ورد اسمه في نقوش المستوطنة الصورية (أم العواميد) على الساحل السوري، مما عزز الاعتقاد بأنه الإله الرئيسي للمدينة[48].

---

[43] أحمد الريفي الشريف، المرجع السابق، ص 19.

[44] أحمد الفرجاني، مرجع سابق، ص 102.؛ مادلين هورس ميادان، مرجع سابق، ص 60.

[45] المبروك الزناتي، " المؤلهة تانيت "، مجلة آثار العرب، ع 4، مارس، 1992، ص 55. ؛ السير جون هامرتن، تاريخ العالم ، ج3 ، ت: إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، القاهرة، (د.ت)، ص 254.؛ محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 51.

[46] أحمد الفرجاوي ، مرجع سابق ، ص 102.؛ فراس سواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني مصر وسوريا وبلاد الرافدين والعرب قبل الإسلام، منشورات دار علاء الدين، سوريا، 2004، ص 113.

[47] يولي بركوفيتش تشيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت: يوسف إبي فاضل، جروس برس، بيروت، 1988، ص 119 .

[48] Levi Della Vida, M.A., Guzzo, Iscrizioni Puniche della Tripolitania, (1927-1967), Roma, pp. 74-82.

اسم عشتارت بالحروف الأوغاريتية الساكنة "ع.ث.ت.ر.ت" هو الصيغة المؤنثة من "عشتار" بعد إضافة تاء التأنيث، ويحتمل أن الإلهة عشتارت كانت تعبد في معظم مدن الساحل الفينيقي، والتي طابقها الرومان بفينوس، حيث عثر على عدد من النقوش الإهدائية تعود إلى الآلهة عشتارت وكانت عبادتها في العادة رفيقة أدونيس الذي هو "أشمون" إله الحياة النباتية[49].

وتعد صور أحد مراكز عبادتها ومن أهم رموز عشتارت التي عرفت في الشرق الفينيقي هي الشكل الأنثوي ذات الجمال، وتظهر أيضا برموز مصرية مثل التاج المصري المضاف إليه قرنين جانبيين في أسفله وعلامة الحياة المصرية "عنخ"، وقد عرفت عشتارت بصفتين أساسيتين الأولى آلهة الخير والخصب والبركة، والثانية آلهة التدمير في المعارك والنزال وتندمج الإلهتان في عصر لاحق تحت اسم واحد وهو "أتارجيتس"، وعرفت بشخصيتها الحربية في أسفار العهد القديم حيث يقوم القلستيون بتعليق أسلحة شاؤول وأبنائه التي غنموها في الحرب في معبد الإلهة الموجود في بيت شان "بيسان" في فلسطين[50].

5- أشمون **Asmun**: لقد كان الإله أشمون "النار" في الأصل بعل مدينة صيدا وسيدها وحاميها، وقد قرنه اليونانيين بالاله "أسكليبيوس" إله الطب والشفاء والصحة، هذا فضلا عن خصائص الخصوبة التي عرفت عنه، وقد عبد في بيروت المكان الأول لعبادته ثم انتقل إلى صيدا ومنها إلى قبرص وسردينيا وإفريقيا، وكان اسمه في صور "ياسومون" وهو إله الطب والشفاء ويشير لهذا مقطع "ياسوا" أو "آسو" في اسمه والذي يشير إلى الطب، وهو رمز الخلود، ورب الخلود[51]، وشعاره حية يتصل رأسها بذنبها على شكل دائرة، يمثل عند أهل قرطاجة الإله الشافي، فهو إذن الإله الشافي من العلل والأمراض[52].

6- شدرافا: لقد كان الإله شدرافا عند الفينيقيين إله الخصب والعالم السفلي ويدل اسمه على أنه إله الطب والشفاء، وقد ظهر في تدمر مصحوبا بالثعابين وطابقه الرومان بالإله باخوس إله الخمر والمرح والمتعة[53].

ويبدوا أن اسم الإله شذرافا يتألف من "شد" و "رفا" الذي يعني شد الشافي وقد وصلت عبادته إلى مصر خلال حكم الأسرة 18 ويشبه بأوزيريس، ويأتي دائما في صيغة الجمع ويكتب في اللغة الأكادية "شدو" ويركب من اسمه في اللغة الفينيقية اسم "ج.ر.ش.د" الذي يعني خفير الحماية المرسل من الإله "شد"، ويرجح أن أسطورة شذرافا لا تختلف في جوهرها عن أسطورة ادونيس أو اشمون ويظهر الإله "شذرافا" في نقوش أنصاب عمريت على الساحل السوري بهيئة قرينه من الإله بعل ولكنه يحمل في أحد النصبين بيده اليمنى سلاحا غير واضح المعالم، وفي النصب الآخر فيحمل ما يشبه الفأس على شكل مرآة ملوثة، ويعتمد الإله في النصبين بغطاء رأس مخروطي له ذيل ويقف على أسد يظهر في أحدهما واقفا، وعلى تلول العالم السفلي الرمزية وكذلك تظهر الشمس والقمر وفوقهما جناح الأفق أعلى شدرافا في أحد النصبين[54].

7- <u>ملقارت</u>: لقد كان معبود صور وكلمة "ملقارت" تتكون من كلمتين فينيقيتين هما "ملك" و"قارت" بمعنى مدينة أي مدينة المدينة أو إله المدينة[55]، وقد لقب بلقب "بعل صور"، وقد شبه المؤرخون بهرقليس، وانتشرت عبادته إلى قبرص ومصر وقرطاج وغيرها.

---

[49] أحمد الريفي الشريف، المرجع السابق، ص 20.

[50] عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص 213-214.؛ م. بوب، ف. رولينغ، المرجع السابق، ص 279.

[51] محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1994، ص 319. ؛ أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص 174

[52] عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 24.

[53] عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 212.

[54] م. بوب، ف. رولينغ، المرجع السابق، ص 231.؛ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 173.

[55] بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 231.

ظهر لأول مرة في القرن 9 ق.م في نقش آرمي[56]، كما ذُكر في معاهدة الملك الأشوري أسرحدون (669-680 ق.م)، مع ملك مدينة صور[57]، وهو إله القوة والنور، أي كان إلها شمسيا، وبعد التوسع الفينيقي في مجال التجارة في البحر اكتسب ملقارت إله البحار[58]، وله شعبية كبيرة بين المستوطنين الفينيقيين شرقا وغربا، فقد ظل لسنوات طويلة يبعث القرطاجيين الهدايا إلى معبده في صور، ويقدمون له عُشر دخل الدولة سنوياً له[59].

8- الإله رشف (Reshef): يعتبر إله الصاعقة، والنار، والضوء السماوي، وقد جرت مطابقته بالإله الإغريقي أبوللو (Apollo)[60]، وكان محبوبا في الشرق الفينيقي، وخاصة في مدينتي ماري وأغاريت، وفي مدينة قرطاجة أقيم له معبد بين منطقة الميناء وحي بيرسا[61].

9- الإله أرص (Aras): وهو إله الكون، وخاص بالمياه العذبة، وقد اكتشف له نقش بمدينة لبدة الكبرى، والنقش مسجل باللغة البونية على لوح من الحجر الجيري المحلى، عُثر عليه قرب المسرح المدرج بالمدينة، ويذكر بالنقش أن كانديدوس بن كانديدوس بن حانو بن عبد ملقارت قد كرس نذراً بإقامة النصب والرواق المعمد للإله أرص، إله الكون، وخالق الأرض.

ثانيا/ المعابد الفينيقية: شغلت المعتقدات الدينية جزءا هاما من حياة الفينيقيين الشرقيين والغربيين فعبدوا آلهة كثيرة، وأقاموا لها معابد خاصة اختلفت أنواعها، فمنها المبنية وغير المبنية، تعرضت لتأثيرات شرقية وغربية.

تركزت المعابد الفينيقية في نوعين من الأماكن هي: هياكل العراء "الهواء الطلق"، والأماكن المرتفعة، ثم صارت المعابد والساحات وبعض الجبال وساحات القصور أماكن للعبادة، وكانت لفظة قادش Qadesh تعني "مكان مقدس"، ولفظة "بهل Phl" تعني مكان مرتفع، وكان المعبد في بدايته الأولى في العراء تمثله حجرة منتصبة مشحونة بالقداسة تجل على الإله، ثم تطور المعبد إلى حجارة الأماكن المرتفعة، ثم وضعت الحجارة في غرفة مربعة، وكان لها باب واحد، ثم تطور بناء هذا الصرح أو المقصورة أو الغرفة المربعة إلى بناء بعدة غرف وأصبح المذبح في وسط القاعة الكبيرة، وعليه توضع القرابين للآلهة، ولم يكن بناء المعابد لعبادة الإله بل لحبس قواه داخل غرفة المعبد، من أجل ضبط تصرفاته وحبس قواه أكثر مما هو من أجل عبادته، فكانوا يعتقدون بإمكانية وقف المصائب عندما يكون بالإمكان حصرها في مكان معين، ومن أنواعها نجد:

- **بيت إيل**: وهو أبسط أنواع المعابد التي تنحدر منذ الماضي البعيد، وهي عبارة عن نصب أو حجارة منحوتة منصبة في العراء، وأكثر ما كانوا يحتارون لعبادتهم "حجارة الرجوم" ولا سيما تلك التي رأوها ساقطة من السماء على شكل شهب نارية باعتبارها هبة سماوية.

- **أشيروت Asheroth**: وهي النصب المقدسة فوق المرتفعات، والتي كانت بمثابة المعابد الأولى القديمة للإلهة الأنثى "عشيرا"، وكانت أماكن عبادة عشيرا بشكل عام تسمى "الأوقاف المقدسة".

---

[56] أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص. 172

[57] ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ت: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1948، ص 120 .

[58] محسن عبد الصاحب، جغرافية المعتقدات والديانات، عمان، 2010، ص 187.

[59] محمد على الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، 2003، ص 69.

[60] محسن عبد الصاحب، المرجع السابق، ص 187.؛ فرانسوا دويكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ت: عزالدين أحمد عزو ،ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ص.ص 137-144.

[61] عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 214.

الهياكـل: كان الفينيقيون يقومون بطقوس عباداتهم فوق كل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، كما نجد أنهم يقومون بهذه الطقوس داخل المعابد المخصصة بعبادة بعض الآلهة، ويبدو أن الفينيقيين قد حرصوا في بناء معابدهم على اختيار الأمكنة العالية[62]، وتشمل أماكن العبادة هذه ساحة رحبة مريحة الزوايا ومسطحة يحيط بها جدار يقوم في داخله المصلى الذي يحتوي على صورة الإله، فإذا اجتمع كل ذلك اكتملت أدوات العبادة، وكان لابد للمعبد من نبع أو حوض مقدس ومن غابة مقدسة، ويعد اتخاذ سور مكشوف بدلا من إقامة فناء واسع مسقوف خاصية من خواص المعابد الفينيقية وعلى هذا الطراز أقيم معبد أشمون في صيدا، هيكل عمريت، معبد ببلوس في جبيل، معبد دير القلعة، وكذا معبد حضرموت، وصلمبو في قرطاجة[63].

تعددت المعابد الفينيقية وتنوعت أشكالها، فمنها الغير مبنية والمبنية، والمعابد الكبيرة والمصليات الصغيرة، فبالنسبة للمعابد الغير مبنية أو ما يسمى بالتوفت (Tophet)[64]، فهي عبارة عن مساحات واسعة في شكل فضاءات مقدسة محاطة بجدار من حجر أو طين أو من مادة أخرى يفصلها عن العالم الدنيوي، وفي وسطه مصلى يحتوي على مذبح وأخدود تخرج منه نار متأججة، تمارس فيه الطقوس الدينية في الهواء الطلق وتحيط به مجموعة من الجرات المملوءة بعظام بشرية أو حيوانية قدمت كقرابين للآلهة، تعلوها نصب اتخذت أشكالا مختلفة إلى جانب تمائم وحلى وتماثيل صغيرة[65].

أما فيما يخص المعابد المبنية، فقد كشفت الأبحاث الأثرية عن بقاياها في الساحل الفينيقي وخارجه، وتتميز عادة بمدخل بعمودين، تسبقه عدة درجات ويليه دهليز يؤدي إلى ساحة يظهر في وسطها مصلى أو ناووس يكون عادة مرتفعا يقوم على منصة ويضم تمثال الإله أو الرمز المرتبط به، ويقابله مذبح أو طاولة تقدم عليها القرابين ومن أمثلة ذلك نجد معبد جبيل "معبد المسلات"، معبد صور، وأشمون قرطاجة [66].

ثالثا/- الكهنة والعرافون:

الكهنة هي همزة الوصل بيت الآلهة والبشر، ويتولون مسؤولية إدارة شؤون المعبد وتنظيم مراسيم العبادة الدينية، وقد كانت هذه الوظائف الدينية الرفيعة وراثية -عند الفينيقيين- وينتمون عادة إلى الطبقة الأرستقراطية، ويعرف الكهنة في النصوص الفينيقية غالبا باسم (أكوهن)[67].

يتألف جهاز الكهنة من "ر.ب.ك.ه.ن" مثلما جاء في بعض النقوش الفينيقية-البونية، بمعنى الكاهن الأعظم، وهي أعلى مرتبة في الجهاز، له الحرية التامة في إدارة كل فريق المعبد، وإليه تحول كل الصلاحيات، وتساعده مجموعة من الكهنة من الرجال والنساء، وحراس الأبواب، ومنشدين وخبازين وحلاقين وكتبة، ومشرفين على الماء والذبائح، والذين أبرموا عهدا على خدمة الآلهة طوال حياتهم مخلصين لها، ومؤدين واجبهم على أحسن وجه[68].

---

[62] مادلين هورس ميادان، مرجع سابق، ص 67.

[63] Lucian, De Dea syrà, paris, 1967, p 42.

[64] Fantar (MH), Carthage approche d'une civilisation, T,2, éd, Alif, tunisie,1992, p 299.

[65] عبد الحفيظ فضيل الميار، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية "، مجلة آثار العرب، العدد الحادي عشر والثاني عشر، طرابلس، 1999، ص ص 14-18.

[66] Fantar (MH), Carthage…, op-cit, p 298.

[67] أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص 210.

[68] Gsell (S), H.A.A.N, T 4, ed. Hachette, Paris, 1920, p 397

يمثل هؤلاء الأعوان الذين يسهرون على خدمة المعبد والآلهة والجزارون الذين يشاركون في عملية تقديم القرابين، والمصباحي الذي يسهر على إنارة المعبد، وكذلك العازفون والمغنون، فنجد خادم عشتارت، وخادم ملكرت، وخادم أشمون وغيرهم[69]، فهي من العناصر التي يتكون منها المجتمع القرطاجي، وهم يشغلون المراكز العليا، ويتمتعون بمكانة رفيعة، ومنهم خدمة تأنيت وبعل حامون، وملكارت، وأشمون، وكانت مهمتهم صيانة المدينة من غضب الإلهة وذلك[(118)] بتقديم الذبائح وإقامة الحفلات الدينية أو تلاوة الصلوات في أوقات معينة[70]، وقد شاركت المرأة في هذه الوظيفة المقدسة واحتلت هي الأخرى مراتب عليا في تسير شؤون المعبد فكان لها دور رئيسة المجتمع الكهنوتي "ر. ب. ت. ك. هـ.ن" حيث ظهرت صورتها فوق العديد من التوابين بمدن الساحل الفينيقي[71].

وكان الفينيقيون -والقرطاجيون فيما بعد- مولعين بالتطلع إلي معرفة المستقبل ويقول المؤرخون أن معبد سيلتيس بقرطاج كانت به متكهنات يكشفن الغيب ويتنبأن بالمستقبل، وكان هؤلاء العرافون يعتبرون عند الفينيقيين من الشخصيات الرسمية، وكانوا يرافقون الجيوش في حروبهم وغزواتهم، وكان هؤلاء القادة يستبشرون بهم قبل الإقدام إلي أمر خطير هام، ويأخذون رأيهم ويتبعونه.

رابعا/- الشعائروالقرابين الدينية :

1 – المدافن: أقدم القبور عبارة عن غرف فسيحة الأرجاء سد مداخلها بصفيحة من الحجارة وبنيت أو حفرت في الصخرة في عمق يبلغ أمتاراً كثيرة، وكان الموتى يوضعون في توابيت من الحجر أو يمدد علي الأرض مباشرة، ثم ظهرت بعد ذلك القبور الشبيهة بالآبار، أي أن غرفة أو عدة غرف منضدة كانت تفتح علي آبار يتجاوز عمقها أحياناً عشرين متر تسد بعد كل دفن، ولم تكن في الأول لتسع أكثر من جثة أو جثتين، ثم انتشرت عادة الدفن الجماعي.

تتميز المعتقدات الدينية الفينيقية بتقديم القرابين والأضاحي على شرف الآلهة من أجل استمالتها ونيل رضاها، تصاحبها احتفالات دينية تقام تحت إشراف الكهنة وبحضور جمع من الناس، ولقد قدم الفينيقيون في القرون الأولى من تاريخهم قرابين بشرية أغلبيتها أطفال صغار، ثم أخذت تعوض شيئا فشيئا بالقرابين الحيوانية والغذائية بمختلف أنواعها.

2– الحياة ما بعد الموت: إن تصور الفينيقيين للحياة الآخرة وحقيقة الحياة بعد الموت وخاصة فيما يتعلق بالعقاب والثواب كان له تأثير على الأخلاق واعتناق العقائد الفاسدة مقل عبادة عشتارت المبنية على البغاء المقدس، وما ينجم عن ذلك من ضرر بسبب الممارسات الدينية المنطوية على كثير من عناصر الشهوة التي تحط من قيمة الإنسان وتنزل به إلى الدرك الأسفل[72].

وكان الفينيقيون يؤمنون بعبادة الموتى حيث كانوا يضعون الأثاث والهدايا والأواني الخزفية ومصابيح زيتية وغيرها مع الميت، وهذا يدل علي إيمانهم بالحياة بعد الموت، غير أن ذلك لم يكن واضحا، حيث كانوا يرون في القبور أماكن الراحة الأبدية، وهو ما يشير إليه نواويس صيدون من ترك الموتى في أماكن للراحة الأبدية وكانوا يعتقدون أن الجسد يبلى في القبر غير أن الروح تتحول إلى ظل يشبه الجسد ومن ثم يمتلئ العالم السفلي بالظلام المعتمة غير النورانية والتي تمثل أرواح الموتى وأن الروح تستقر في أعماق البحر وتبقى في الظلمات[73].

---

[69] Ibid, p 401.

[70] رشيد الناضورى، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 142؛ أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص 210 .

[71] أحمد صفر ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، دار النشر بوسلامة ، ج 1 ، تونس، 1959، ص 121.

[72] عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية..، المرجع السابق، ص 244.

[73] سبتيينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 199.

وتضم المقابر الفينيقية أيضا الأقنعة والمسوخ الطينية التي تحمل أشكالا شيطانية يرتديها الإنسان أو يضعها في منزله أو مقبرته كنوع من إخافة القوى الشريرة وإبعادها عنه، أو تقيهم من الآلام والأمراض، وكانت هذه الأقنعة تصنع من الطين بواسطة قوالب.

3- ظاهرة القرابين البشرية:

لقد كانت فكرة تقديم الأضاحي البشرية في السابق مشكوك فيها رغم إشارة النصوص الكتابية القديمة إليها، وأظهر علماء الآثار تحفظا كبيرا فيما يخص هذا الموضوع إلى غاية 1921 بعد الكشف عن معبد صلمبو الذي يعد من أقدم المعابد القرطاجية، استخرجت من سطحه آلاف الجرات المملوءة ببقايا العظام البشرية، فأصبحت هذه الفرضية أكثر احتمالا من ذي قبل، ويظهر أن القرطاجيين مارسوا هذه العادة لقرون طويلة في مدينتهم وتسربت بعد ذلك إلى مختلف المواقع التي بلغها التأثير البوني[74]، ومن عادة الفينيقيين تقديم الأضاحي البشرية في أوقات الخطر الشديد والكوارث وانتشار الأوبئة، حيث كان الأمراء يضحون باطفالهم في احتفالات غريبة على شرف الإله "بعل حمون" أي الإله "إل El"، وتذكر الأسطورة بأن هذا الإله كان قد ضحى بابنه "جيود Jeoud" عندما لحق ببلاده بيبلوس Byblus خطر شديد، حيث ألبسه ملابس ملك وجهز مذبحا وقدمه كأضحية، وبذلك فتح هذا الإله الباب على مصراعيه أمام هذه الطقوس الدينية المروعة[75].

تتم عملية تقديم القرابين البشرية داخل المعابد، فكان الفينيقيون يتوجهون إلى سيد المعبد إلههم الأعظم للتعبير عن مشاكلهم وانشغالاتهم ثم يعيدونه بتقديمه أضحية بشرية، وإذا استجاب الإله لطلب الداعي يقوم هذا الأخير بتنفيذ وعده، فيقدم قربانا يوضع بعد حرقه داخل جرة تدفن فيما بعد في أرض المعبد، وكان الفينيقيون يعتبرون "التوفيت Tophet" مكان مقدس، تحفظ فيه الأواني الفخارية، التي تحتوي على عظام الأطفال أو الحيوانات الصغيرة المحروقة بعد تقديمهم قرابين للآلهة بعل حمون وتانيت وملقرط، وذلك طلباً لرعايتهم وتجنباً لغضبها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن التوفيت هو عبارة عن تسمية مأخوذة في الأساس من التوراة والتي تتحدث عن وجود مكان يدعي "تفت" في وادي حنون قرب القدس كانت تقدم فيه الأطفال كتضحيات قرابين إلى الآلهة في حين تم العثور عليها في كل من الساحل الفينيقي وقرطاجة وصقلية، قد حظيت مواقع التوفيت بعناية أهل فينيقيا وحرصهم الشديد فقد أحاطوها بسور تجنباً لحرقها[76].

لقد ذكر المؤرخون الإغريق والرومان خبر تقريب الأطفال في المناطق البونية، حيث أثبتت الحفريات ذلك باكتشاف المعابد التي وضعت فيها مسلات بعظام الأطفال الصغار أو الحيوانات، وخلدت النقائش هذه العادة ولقد احتوت بعض الوثائق المكتوبة على عبارات تدل على أن هذا النوع من الطقوس يسمى "م.ل.ك.أ.م.ر" ذبيحة (ملك) خروف، أو "م.ل.ك.ب.ع.ل" قربان عوضا عن رضيع أو "م.ل.ك.د.م" قربان دموي، وكان أمراء الدولة وقادتها يقدمون القرابين الغالية إلى ألهتهم لترفع عنهم ما يخشونه، ويقيمون احتفالات كبرى يسرع إليها الأوفياء ورؤوسهم منكسة وقلوبهم تفيض بالتقديس والخشوع، وفي هذا الصدد يذكر بلوتارخوس أن الأغنياء من الفينيقيين والقرطاجيين كانوا يستبدلون بأطفالهم أطفال الفقراء والعبيد[77].

يبدو من خلال النصوص الأدبية القديمة والأبحاث الأثرية الحديثة أن عملية تقدم القرابين للآلهة كانت تتم داخل الفضاءات المقدسة، فقد أشار ديودور الصقلي إلى وجود تمثال من البرونز داخل معبد قرطاجة يمثل الإله بعل حمون يتميز بيدين ممتدين وكفين منحنيين نوعا ما نحو الأسفل يستلم الأطفال الأبرياء، ثم يلقي بهم في لهيب الأخدود المشتعل نارا على مقربة منه[78].

---

[74] Gras (M), Rouillard (R) et Texidor (J), L'univers Phénicien, éd. Arthaud, Paris, 1989, p 171.

[75] عبد الحفيظ فضيل الميار، "ظاهرة الأضحية البشرية...، ص 16.

[76] برويبة الشاذلي، مرجع سابق، ص 282 .

[77] Fevrier (J.G.), "Essai de reconstruction du sacrifice Molek " dans JA, 248, paris, 1960, pp 167-187. ; Fevrier (J.A,) " le rite de substitution dans les textes de N'Gaous, J.A, 250, (1962) pp 1-10. ; Plutarchus, DeSuperstitiones. L.C.L. London, 1967, p 13.

[78] Diodore de cisile, bibliothèque Historique, trad. par A .F .Miot, Paris, 1934, XX, 14.

والطريقة التي كانت تتم بها هذه العملية وكما نقلها بعض المؤرخين المعاصرين عن بلوتاريخوس، فإنها كانت تتم في الليل تحت ضياء القمر ونار الجمر، فيبدأ الحفل بحضور جمع غفير من الناس يلتفون حول تمثال الإله ويترقبون عملية تقديم الأضاحي، وكان من بينهم موسيقيون وراقصون يصدرون أصوتا رهيبة وأولياء الضحية الذين يحرم عليهم البكاء والتعبير عن آلمهم وحزنهم، فكان عليهم كبت شعورهم رغم الآسي والخزن اللذين يزرعهما هذا الموقف في نفسهم .

تم تأتي اللحظة الحاسمة التي ينتظرها الجميع فيسلم الأولياء ابنهم للكاهن ليحمله بين ذراعيه ويتقدم بخطوات متثاقلة نحو الحفرة، يذبح الضحية بطريقة غامضة ثم يضعها بين يدي الإله المنحنيتين نحو الأسفل، فتتدحرج الضحية لتلقى داخل الحفرة الملتهبة نارا فتعلو أصوات الطبول والمزامير وتبدأ الرقصات المختلفة.

فما تكاد الضحية تصل إلى حافة الحفرة حتى تزول كما تتبخر قطرة من الماء على صفيحة ساخنة، فيتصاعد دخان أبيض فرغم ذلك فإن شهية الإله لا تهدأ إنه يطلب دائما المزايد، فيكدسون الضحايا ويربطونها بسلسلة لتشدها، ويستمرون هكذا في تزويده بالضحايا أكثر فأكثر.

إن هذا الوصف المريع قد أضر بالحقيقة التاريخية وبسمعة قرطاجة، فهو وصف لا يوجد إلا في خيال ديودور الصقلي وبلوتارخوس والمؤرخين المحدثين الذين ساروا على دربهم وساهموا في نشر اللوحة التي رسمها المؤرخون القدامى حول التضحية بالأطفال الصغار عند القرطاجيين، مثل الأديب الفرنسي فلوبر (Flaubert) صاحب رواية صلمبو الذي اجتهد كثيرا في اختيار الكلمات والتعابير التي تحمل الرعب والقسوة والتعطش لسفك الدماء، وصفت القرطاجيين بالأنانية والجشع وغياب الرحمة في قلوبهم .

لذلك، فقد احتج بعض مؤرخي العصر الحديث من هذه السمعة السيئة التي كسبتها الحضارة القرطاجية والتي أفقدتها كثيرا من احترامها وثقة العالم بها، ورأوا أن أصحاب النصوص الإغريقية واللاتينية الذين تناولوا هذا الموضوع قد عرفوا بعدائهم للقرطاجيين[79]، ووصفوا شهاداتهم بعدم الموضوعية، بدليل أنه لا توجد آية علاقة بين النصب النذرية، والجرات الفخارية المملوءة بعظام الأطفال الصغار، وبالتالي لابد من إعادة النظر في آلاف العظام التي كشف عنها في المعابد القرطاجية، واستبعاد أدلتهم غير المنطقية كذلك توخي الحذر عند العودة إلى المعلومات التي نقلتها إلينا المصادر الكتابية القديمة.

إذا كان المؤرخون القدامى قد بالغوا في وصف الطريقة التي كانت تتم بها تقديم الأضاحي البشرية، فيبدو أن حقيقة هذه الممارسات قد أصبحت ثابتة لا يمكن استبعادها أمام مختلف الشواهد الأثرية التي تدل بطريقة أو بأخرى على انتشار هذه العادة في المجتمع القرطاجي

فلقد ظهر جليا من خلال بقايا عظام الأطفال الموضوعة داخل الجرات الفخارية المكدسة في سويات المعابد والمغطاة بالمباخر وعروة الجمر، كذلك من خلال بعض النصب البونية التي كشف عنها والمتضمنة لنقوش تشير إلى أضحية مولك (Molk) والتى قد فسرها الباحث فيفري بالتضحية بطفل صغير، وأيضا من خلال المذابح الموجودة داخل المعابد، أو كذلك جليا من حيث مشاهد الأضاحي المصورة فوق بعض النصب البونية كالمشهد الممثل فوق نصب كشف عنه في معبد صلمبو، فرغم أنه خال من أي نص يدل على مضمونه لكنه يتحلى بمجموعة من صور نقشت من الأسفل إلى الأعلى تفيدنا بمعلومات مهمة تثري هذا الموضوع.

يمثل النصبُ كاهناً واقفاً في وضعية جانبية يرتدي ثوبا طويلا يشده إلى خصره بحزام عريض يحمل بذراعه الأيسر طفلا صغيرا عاري الجسم، يمثل بدون شك الضحية التي ستكون قربانا للإله، واليد اليسرى مرفوعة نحو العناية الإلهية، وتعلو هذه الصورة ثلاثة وريدات

[79] Picard (G-C), Vie et mort de Carthage, éd. Hachette, Paris, 1970, p 48.

تحيط بكل واحدة دائرة، تعلوها بدورها زخرفة، وينتهي أعلى النصب بدلفينين وزهرة وهلال معكوس نحو الأسفل وقد أرخ هذا النصب إلى القرن الخامس أو الرابع ق. م.

كما تجدر الإشارة إلى نصب آخر يمثل كاهنا يرتدي ثيابا طويلا يشده إلى خصره بحزام يده اليسرى مرفوعة ويحمل باليد اليمنى كوبا أو قدحا، يقف أمام مذبح غريب تخرج منه خيوط غامضة قد تكون دخانا أو شجرة مقدسة، وقد صور هذا المشد داخل ناووس تظهر إلى جانبه أجسام غريبة يصعب التعرف عليها[80].

4/- القرابين الحيوانية والغذائية :

لقد أصبحت رغبات "بعل حمون" أقل قسوة في الفترات الأخيرة من تاريخ الفينيقيين والقرطاجيين، فأخذت التضحية بالحيوان أو ما يسمى لديهم ملكمور (Mlkmr) تعوض شيئا فشيئا الأضاحي البشرية، وغالبا ما يكون هذا الحيوان خروفا يقدمه الداعي عوضا عن تقديم ابنه، فقد تضمنت الكثير من النقوش البونية إهداءات تدل على قرابين حيوانية قدمها أصحابها للآلهة في أوغاريت وقرطاجة وخارجها.

وفي هذا المجال، نشير إلى إحدى النقوش التي كشف عنها في قرطاجة، سطرت تخليدا لقربان يتمثل في حمل قدمه شخص يدعى بانو (Banno) ابن ماغونام (Magonam)، كما نقلت لنا بعض الشواهد الأثرية مشاهد حية حول عملية تقديم القرابين الحيوانية حيث صورت إحدى النصب ذات قمة مثلثة شخصا واقفا أمام مذبح وضع فوقه رأس ثور، يده اليمنى مرفوعة نحو الأعلى ويمسك بيده اليسرى زهرة، ويشغل أسفل النصب صولجان يتوسطهما الرمز المدعو تانيت.

أما فيما يخص أهم الحيوانات والمواد الغذائية التي تقدم كقرابين للآلهة فقد جاء حولها عرض مفصل مع تحديد المقادير المفروضة على الشعب والتي تدفع إلى الكهنة الذين يتكفلون بأهم المراسيم التي تصاحب هذه العملية.

جاءت هذه التفاصيل في نص طويل نقش بحروف بونية فوق قطعة حجرية من جزأين مصدرها من قرطاجة، كشفت عنها بمدينة مرسيليا عام 1844، لذلك عرفت بتعريفة مرسيليا (Tarif dit de Marseille)[81].

حددت في هذا النص الأجزاء التي تقدم للآلهة والأجزاء التي تحتفظ بها الكهنة لأنفسهم، قُسم إلى ملحقين أثنين، يحتوي الملحق الأول على 21 سطرا، بينما يحتوي الملحق الثاني على 16 سطر، وخصص الملحق الأول من السطر الأول إلى السطر 10 لذكر مختلف أنواع الحيوانات التي تقدم للآلهة، رتبت حسب أهميتها، وفي السطر 11 إشارة لأنواع الدواجن، أما في السطرين 12 و14 من نفس الملحق فيتضمن بعض المواد الغذائية كالزيت والقمح والحليب بالإضافة إلى العطور، ونفس الشيء بالنسبة للمحلق الثاني فقد ذكرت فيه كذلك القرابين الدموية وغير الدموية المفروضة على القرطاجيين.

تواصلت عملية تقديم القرابين الغذائية والحيوانية للآلهة إلى ما بعد سقوط قرطاجة، حيت اكتشف سنتاس في السوية الخامسة من معبد حضرموت عن مجموعة من النصب تصور لنا مشهدا رائعا حول هذه العملية بتسلسل مراحلها، وما تزال التضحية بالحيوان مستمرة إلى يومنا هذا في مجتمعنا لكنها بطريقة مختلفة عن السابق، حيت يذبح خروف عند وضع حجر الأساس وخروف أخر عند نهاية المبنى.

---

[80] Chabot (J-B), les inscriptions Puniques dans la collection Marchant, CRAI, Paris, 1916, pp 27-28.

[81] Février (J-G), remarque sur le grand tarif de Marseille, C.B, Vol. VII, Paris, 1958-1959, pp 41-42. ; Delcor (M), Le tarif dit de Marseille (CIS, I, 165), Aspect du Système sacrificiel Punique, « semitica », XXXVIII, Paris, 1990-I, pp 87-88.

5/- الطقوس الدينية:

تشكل الطقوس والشعائر الدينية الركن العملي لأي دين، فهي تستمد مادتها الروحية من الأساطير ومادتها النظرية الفكرية من اللاهوت لكنها تحول هذه المادة إلى أفعال عملية تشعر الإنسان المتين بديمومة واستمرار حضور الدين في حياته التفصيلية اليومية، وتنقسم الطقوس والشعائر الكنعانية إلى طقوس يومية، طقوس المناسبات، الطقوس الدورية، الطقوس السرية.

5-1/- الطقوس اليومية: وتشمل كل من

أ/- الاغتسال والتطهير، وكان هذا الطقس يومي، حيث يقوم به المتعبد أو الكاهن وفق أربعة أنواع؛ الماء، الزيت، النار، الخمر.

ب/- الصلاة: وتسمى بالكنعانية "رجم Rgm"، وتضرعات صارخة للآلهة، تبدأ بعرض الحالة الحاضرة ثم يأتي تعداد الصفات الالهية مع الاشارة الى حالة المتضرع، وفي الغالب تتركز الدعوات على انهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث، وتتضمن الصلاة بعض الحركات مثل التذلل أمام الإله والارتماء على الأرض.

ج/- صب الخمور على الأرض: كان طقس صب الخمور على الأرض، حيث يعتقد الكنعانيون أن السماء تتلذذ به ويمكن أن ينهي حالة الجفاف.

د/- العربون: كانت النذور تختلف من إله لآخر ومن مناسبة لأخرى، حيث توضع عند قدمي تمثال الإله أو معبده.

هـ/- دق الطبول: وذلك بهدف التطهير وطرد الأرواح الشريرة.

و/- صهر التماثيل: يعد صهر التماثيل طقسا تطهيريا ونذريا، وهو يعبر عن ولاء المعابد لمعبوده.

ز/- تعرفات المذابح: وتعرف بالنذور المشفوعة، وهي أنواع؛ الذبيحة المحرقة، ذبيحة الإشراك، ذبيحة التكفير، ذبيحة الإبكار.

ح/- القرابين: وتنقسم إلى؛ ذبائح العبادة، ذبائح المغفرة "التكفير"، تضحيات الشكر للآلهة.

2/- طقوس المناسبات

أ/- طقوس بناء المعبد (الهياكل، الأنصاب)

ب/- طقوس الزواج: كانت الآلهة "عناة" راعية الخطوبة والزواج وطقوسها تكرس القران الزوجي الشرعي.

ج/- طقوس الموت: كانت تجرى طقوس جنائزية مهيبة للميت –حسب الطبقة- لضمان حمايته من قبل الآلهة في العالم الآخر، ويوضع الميت في قبور مزينة بأنصاب جنائزية، كما يرفق بذبائح وتماثيل مختلفة.

د/- الألواح "الشواهد" الجنائزية: في شكل قاعدة فوق القبر بواسطة الطين او الحجر[82].

هـ/- طقوس الدفن أو الحرق: كانت الأجساد تكفن وتدفن أو تكفن وتحرق مع حفظ رمادهم في جرار داخل المذبح.

3/- الطقوس الدورية: وهي الطقوس التي تتبع نظاما زمنيا متكررا وثابتا، وهي على شكل أعياد جماعية كبيرة ومنها:

أ/- الطقوس الأسبوعية والشهرية: وهو احتفال بالدورة القمرية او الشمسية، مثل عيد القمر الأسبوعي أي انتقال القمر من حجم لآخر.

ب/- الطقوس الفصلية والسنوية: ومنها

- الأدونيات (أعياد أدونيس): أي الاحتفال بعيد الإله "أدونيس"، وهي تقام مرتين كل سنة، ويدوم 7 أيام في بلاد كنعان، و3 أيام في جبيل، وينقسم إلى عيد الأفانيزم أي عيد موته المزعوم مع بدأ الربيع، وعيد الهفريس أي عيد القيامة وبعث أدونيس.

[82] خزعل الماجدي، المعتقدات...، المرجع السابق، ص ص 255-266.

- عيد ملقارت: كانت أعياد هذا الإله مرتبطة بالنار بحكم ارتباطه بالشمس وخليقته الميثولوجية النارية، ويجرى الاحتفال به في جانفي "كانون الثاني"، حيث تنصب محرقة كبيرة يوضع عليها تمثال خذا الإله لوحده، وفيه تجرى حركات درامية لقتال ملقارت ضد التنين "تيفون".

- أعياد رشف: وهو إله العالم الأسفل وكانت تعني قيامه من العالم الأسفل وعودة الصحة والعافية إلى العالم.

- أعياد ياشمون: وهي أعياد فصلية للإله الطب المرتبط بالنار والعالم الأسفل، وطقوسه تشبه طقوس ملقارت النارية.

- طقس فتح طاقات السماء: كان يجرى مع بداية الخريف، وهو نوع من طقوس الاستسقاء وإنزال المطر التي مارسها الكنعانيون بواسطة السحر.

ج/- الطقوس السبعية: وهي تقام كل 7 سنوات، وهي تعرف بالطقوس السبعية البعلية، أي بعث الإله "بعل" أو موته وما يرافق ذلك من فرح وحزن[83].

قائمة المصادر والمراجع

1- إ. أجيمس، الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم، ترجمة يوسف شلب الشام، ط1، دار التوحيدي للنشر، 1998.

2- ابن منظور :لسان العرب (مادة دين)، الجزء 17، ص ص 24-30.

3- أحمد الريفي الشريف، المعتقدات الدينية الفينيقية، مجلة جامعة سبها، مج 7، ع 1، كلية الآداب، قسم التاريخ، مصر، 2008

4- أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993.

5- أحمد صفر ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، دار النشر بوسلامة ، ج 1 ، تونس، 1959

6- أحمد كمال زكي، الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

7- بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

8- ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ت: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1948 .

9- خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص ص 50-55.

10- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2002.

11- رشيد الناضورى، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1969

12- زينب عبد التواب رياض خميس، الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بإفريقيا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 7/ ع 14، جامعة المسيلة، 2018، ص 245.

13- سبتيينو موسكاتي، "الحضارات السامية القديمة"، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967.

14- السير جون هامرتن، تاريخ العالم ، ج3 ، ت: إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، القاهرة، (د.ت).

15- سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، بيروت، 1997,

16- الشاذلي بورونيه وآخرون، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.

17- عبد الحفيظ فضيل الميار، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية "، مجلة آثار العرب، العدد الحادي عشر والثاني عشر، طرابلس، 1999.

18- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001،

[83] نفسه، ص ص 268-273.

19- عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

20- عمر محمد صبحي عبد الحي الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،.

21-فتحية فرحاني، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني "213-46 ق.م"، منشورات أبيك، القاهرة، 2007.

22- فراس السواح، الأسطورة، الوظيفة والمعنى.

23-فراس السواح، دين الانسان "بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني"، ط4، منشورات دار علاء الدين، 2002.

24- فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين للطباعة والنشر والترجمة

25-فراس السواح، لغز عشتار، دار علاء الدين، ط8، دمشق، 2002،.

26-فراس سواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثاني مصر وسوريا وبلاد الرافدين والعرب قبل الإسلام، منشورات دار علاء الدين، سوريا، 2004.

27-الفيروز ابادى :القاموس المحيط، الجزء الرابع، مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة، ب ت، نقلا عن د .سعيد مراد، المدخل إلى دراسة تاريخ الأديان، مكتبة الرشيد بالزقازيق، 1998 ،.

28- كورهان آرليت لوروا، إنسان نياندرتال في كهف شانيدر، تر. جميل حمودي، مجلة سومر، مج. 25، 1969، ص ص 274-275.

29-م. بوب، ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير، تر. محمد وحيد خياطة، ط2، دار الشرق العربي، بيروت، 2002.

30- مادلين هورس ميادان، "تاريخ قرطاج"، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981،

31- المبروك الزناتي، " المؤلهة تانيت "، مجلة آثار العرب، ع 4، مارس، 1992.

32-محسن عبد الصاحب، المرجع السابق، ص 187.؛ فرانسوا دويكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ت: عزالدين أحمد عزو ،ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1997.

33-محسن عبد الصاحب، جغرافية المعتقدات والديانات، عمان، 2010

34- محمد الخطيب ، الإثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع.

35-محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1994.

36- محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 51.

37-محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرف الجامعية.

38-محمد عبد الله دراز، الدين " بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، د، س،.

39-محمد عثمان الخشت :مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2003 .

40-محمد على الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، 2003،

41- مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، 1987.

42- مسعد بري، تطور الفكر الطوطمي(دراسة في الجغرافية الاجتماعية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، جامعة حلب، 2010 .

43-المعجم الوجيز: من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،2009 .

44- يولي بركوفيتش تشيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت: يوسف إبي فاضل، جروس برس، بيروت، 1988.

الأجنبية:

1- Camps H Faber, Fegurations Animales Dans L'art Mobilier Préhistorique d'Afrique Du Nord, Libyca, Vol. IX-X, 101-103, 1962

2- Chabot (J-B), les inscriptions Puniques dans la collection Marchant, CRAI, Paris, 1916.

3- Delcor (M), Le tarif dit de Marseille (CIS, I, 165), Aspect du Système sacrificiel Punique, « semitica », XXXVIII, Paris, 1990-I.
4- Diodore de cisile, bibliothèque Historique, trad. par A .F .Miot, Paris, 1934, XX, 14.
5- E Anati, La Religion des Origines ,Trad, Patrek Michel, Bayard Edition, Paris, 1999.
6- Fantar (MH), Carthage approche d'une civilisation, T,2, éd, Alif, tunisie,1992.
7- Ferguson. M. J., "The Worship of Animals and Plants", Fortnightly Review, 6, 1868
8- Fershtman,C., and Hoffman,M., Taboos and Identity: Considering the Unthinkable, in: American Economic Journal: Microeconomics 3 (May 2011).
9- Fevrier (J.A,) " le rite de substitution dans les textes de N'Gaous, J.A, 250, (1962)
10- Fevrier (J.G.), "Essai de reconstruction du sacrifice Molek " dans JA, 248, paris, 1960
11- Février (J-G), remarque sur le grand tarif de Marseille, C.B, Vol. VII, Paris, 1958-1959
12- Gras (M), Rouillard (R) et Texidor (J), L'univers Phénicien, éd. Arthaud, Paris, 1989, p 171.
13- Gsell (S), H.A.A.N, T 4, ed. Hachette, Paris, 1920
14- Haas, E. Th. Totem und Tabu ein exotischer Tagtraum oder Grundlage einer allgemeinen Kulturtheorie, 2002, Psyche, 56.
15- Levi Della Vida, M.A., Guzzo, Iscrizioni Puniche della Tripolitania, (1927-1967), Roma.
16- lionel balout, l'Algérie préhistorique, editions A M G, 1958, paris.
17- Lucian, De Dea syrà, paris, 1967.
18- Petit Larousse en Couleurs, Libraire Larousse, 1980.
19- Picard (G-C), Vie et mort de Carthage, éd. Hachette, Paris, 1970.
20- Pierre Métais, « Essai Sur La Signification Du Terme (Totem)», R. H .R, 1951 Vol: 40 , n°1 , 1951.
21- Plutarchus, DeSuperstitiones. L.C.L. London, 1967.